الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانية عربية

الموضوع:

اللحن في العصر العباسي
دراسة تحليلية تاريخية

إعداد الطالبتين:

زناقي كنزة
بن عزوز إكرام

إشراف:

أ. د/ أحمد قريش

لجنة المناقشة		
أ.د/ بشيري أحمد	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د/ قدوسي نور الدين	جامعة تلمسان	ممتحنا
أ. د/ أحمد قريش	جامعة تلمسان	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 1441 - 1442 هـ / 2020 - 2021 م

إهداء وشكر :

اختلطت دموع فرحتي بتخرّجي وحزني بوداعِ أحبّتي في غمضة عين مرّت أيّامنا وها نحن اليوم نجني قطافنا ونودّع أحبّتنا والمكان الذي ضمّنا هذه سنّة الحياة بالأمس التقينا واليوم افترقنا ولكن فرحُنا بتخرّجنا يُنسينا ألمنا وشكرًا لمن ساندني طوال مسيرتي الدّراسية أهدي تخرجي لأهلي ولأحبّتي جميعا .

وأقدّم أيضا أسمى آيات الشّكر والامتنان والتّقدير والمحبّة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، إلى الذين مهّدوا لنا طريق العلم والمعرفة.

إلى كلّ من علّمني حرفا في هذه الدّنيا الفانية.

لحظة لطالما انتظرناها وزرعنا أفكارنا ورودًا لها لحظة تعبنا لأجل أن ننالها اجتهدنا وثابرنا وها أنتم تشاركون فرحتنا بها إنّها لحظة التخرج.

إلى كلّ هؤلاء وهؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع ونسأل الله أن يجعله نبراسًا لكلّ طالب علم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أنعم علينا بلغة هي لغة القرآن وشعار الإيمان، وتحيّة أهل الجنان، الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدّله، وألهمه نور الإيمان قرينة به وجمّله وعلّمه البيان فقدمه به، والصلاة والسلام على رسول الأمة ومصباح الظلمة، وقائد المسلمين من العرب، والعجم إلى الجنة وعلى أهله وصحبه أجمعين، أما بعد :

شهد العصر العباسي ازدهارا كبيرا في جميع المجالات العلمية والأدبية وغيرها، وقد كثر الشعراء في ذلك العصر، وكان لهم الأثر الواضح في رسم أحداث تلك الحقبة ولا نغفل في ذلك دور الخلفاء العباسيين في هذا العصر، فالعصر العباسي هو العصر الذي بدأ بزوال دولة بني أمية وقيام دولة العباسيين على أنقاضها، وذلك عام 132 هجريا، وانتهت هذه الدولة عام 656هـ، وقد قامت الدولة بالعديد من الفتوحات في العالم، مما أدّى هذا إلى ظهور اللحن في العصر العباسي .

و هذا ما دعانا للخوض في غمار الدراسة العلمية التي حملت عدة إشكاليات وتساؤلات منها:

فيما يتمثل اللحن؟ وما هي أسباب نشأته في العصر العباسي؟ وماهي طرق معالجته؟

أسباب اختيار الموضوع :

ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو رغبتنا في دراسة العصر العباسي واكتشاف تاريخ الدولة، وعن نشأة اللحن في العصر العباسي ...لحبي اكتشاف ومعرفة تاريخ الدولة العباسية بصفة عامة .

خطة البحث:

كما استقام بحثنا في فصلين وخاتمة، ومستخلص الذي تناولنا فيه الإطار التاريخي للعصر العباسي، وكيف انتقل حكم الدولة العباسية من خليفة لآخر، وعن تفشي اللحن في هذا العصر .

تناولنا في الفصل الأول نبذة عن الخلافة العباسية، توزعت الدراسة فيه على مفهوم الدولة العباسية، وعن خلفائها، وعن امتزاج الثقافات والحضارات في العصر العباسي، وعن تفشي اللحن في العصر العباسي .

أما الفصل الثاني فتناولنا فيه تعريف اللحن، وعن بداية ظهور اللحن وعن بيئاته، وعن أسبابه، وعن آثار اللحن على لسان العرب وعن كيفية معالجته.

وانتهى بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي استخلصناها، وفي هذه الدراسة اتبعنا فيه **المنهج التحليلي الوصفي**، الممزوج بالتاريخي الذي ساعدنا على وصف نشأة اللحن وعن تاريخ العصر العباسي وعلى تأثيره على لسان العرب .

ومن **أهم الدراسات السابقة** لهذا الموضوع منها :

- كتاب تاريخ الخلفاء لأبي بكر السيوطي .
- مجالس العلماء للزجاجي .
- الطبري : تاريخ الطبري 293/7 .
- الشيخ محمد الخضري : الدولة العباسية .
- ابن خلدون (تحقيق عبد الرحمن وافي) مطبعة لجنة البيان العربي .
- ابن قتيبة، عيون الأخبار .

ومن **النتائج المرجوّة من العمل** هو معرفة تاريخ الدولة العباسية ومعرفة اللحن في هذا العصر لتكون لدينا فكرة مشمولة عن هذه الدولة .

صعوبات البحث:

وقد صادفت في طريق بحثي هذا : نضرب كلها ضمن الظروف المحيطة منها .

- تجاذب مباحثه المهمة من طرف عدة اختصاصات .

– ظروف خاصة لازمت من معاناتي وإرهاقي في مجال البحث والكتابة فزادت من طول مدة البحث إضافة إلى ضيق الوقت المحدد .

– صعوبة اقتناء الكتب من المكتبات .

وبفضل الله وعظمته استطعت أن أسلك للوصول إلى غاية البحث والحد الأدنى المطلوب في دراسة هذا العلم الشريف، وأن أكون وفّيتُ الموضوع حقه، والله ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

زناقي كنزة

بن عزوز إكرام

الاثنين 28 رمضان 1442 هـ

الموافق لـ10 ماي 2021م

المدخل

وصلت الحياة الفكرية في العصر العباسي إلى ذروة التطور والازدهار ولا سيما في العلوم والآداب، وقد عرف العصر حركات ثقافية مهمة وتيارات فكرية بفضل التدخل بين الأمم... وكان لنقل التراث اليوناني والفارسي والهندي، وتشجع الخلفاء والأمراء والولّاة، إقبال العرب على الثقافات المتنوعة، أبعد الأثر في جعل الزمن العباسي عصرا ذهبيًا في الحياة الفكرية ونحاول فيما يأتي التعرف على الإنتاج الأدبي، شعره، نثره، على اختلاف فنونه، وما لحقه من خصائص وتطورات .

في العصر العباسي كانت العربية قد أصبحت اللغة الرسمية في البلدان الخاضعة لسيطرة المسلمين، وكانت لغة العلم والأدب والفلسفة والدين لدى جميع الشعوب، وقد كتب النتاج بمجمله في اللغة العربية مع أنّ قسما كبيرا من أصحابه ليسوا من العرب !!

تركت الثقافات الدخيلة أثرا عميقا في علوم الغرب وفلسفتهم، ولكن آداب الأعاجم لم يكن لها مثل هذا الأثر فالعرب لم ينقلوا إلا جزءا ضئيلا من الآداب الأعجمية، لأنهم لم يشعروا بحاجتهم إليها ولم يكن أدباء العرب وشعراؤهم يتقنون لغات غريبة، ، فظل أدبهم في مجمله صافيا بعيدا عن التيارات الأجنبية .

وقد غلب الطابع العربي على الأعاجم الذين نظموا وكتبوا بالعربية فتأثروا بالاتجاهات الأدبية العربية وانحصر تجديدهم ضمن القوالب التقليدية فالعصر العباسي حمل الأدب كثيرا من التجديد، ولكن ضمن الأطر التقليدية . [1]

في العصر العباسي انتشرت المعارف، وكثر الإقبال على البحث وأنشأت المكتبات وراجت أسواق الكتب وقد وضعت المؤلفات في مختلف فروع المعرفة، في التاريخ والجغرافيا والفلك والرياضيات والطب والكيمياء والصيدلة، والصرف، والنحو، واللغة، والنقد، والشعر، والقصص، والدين، والفلسفة، والسياسة، والأخلاق، والاجتماع، وغير ذلك ... يكفي أن نقرأ كتاب الفهرست لابن

[1] فجر الإسلام ، أحمد أمين، مكتبة الإسكندرية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 03 ، 1935م : 268 .

النديم لنعرف كأي مدى كانت حركة التأليف مزدهرة، وأقبل الأدباء على الثقافات الجديدة يكتسبون منها معطيات عقلية، وقدرة على التعليل والاستنباط وتوليد المعاني والمقارنة والإنتاج .[1]

فالأدب العباسي جاء أغنى مما سبقه، ويدلنا على هذا الغنى ما نراه في شعر أبي نواس وأبي تمام وأبي الطيب والمتنبي وأبي علاء، وما نراه في شعر أبي المقفع والجاحظ وبديع الزمان وسواهم ... جاء الأدب العباسي زاخرًا بالمعطيات الإنسانية من حيث تصويره لجوهر الإنسان وما يتعقب على النفس.

لم يكن قيام الدولة العباسية مجرد بيعة خليفة دون آخر أو انتقال إلى الحكم من الأمويين إلى العباسيين، يقول المؤرخ برنارد لويس : كان حلول العباسيين محل الأمويين في حكم الجماعة الإسلامية أكثر من مجرد تغيير الأسرة الحاكمة، لقد كانت ثورة في تاريخ الإسلام تعتبر نقطة فاصلة فيه ولها من الأهمية ما للثورتين الفرنسية والروسية من أهمية في تاريخ الغرب، وذلك ليس بالقياس إلى أحداث الثورة نفسها، إنها لفعاليتها وقدرتها على التغيير الجذري في المجتمع الإسلامي طوال العصر العباسي الأول بل تجاوزت أصداؤها حدوث ذلك العصر .[2]

فالدولة العباسية أو الخلافة العباسية أو دولة بني العباس هو الاسم الذي يطلق على ثالث خلافة إسلامية في التاريخ وثاني السلالات الحاكمة الإسلامية استطاع العباسيون أن يزجوا بني أمية من دربهم ويستفردوا بالخلافة، وقد قضوا على تلك السلالة الحاكمة وطاردوا أبناءها حتى قضوا على أغلبهم ولم ينجح منهم إلا من لجأ إلى الأندلس وكان من ضمنهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، فاستولى على شبه الجزيرة الإيسيرية، وبقيت في عقبه سنة 1029م .

نشأت هذه الدولة بعد الدولة الأموية، فقد كانت الكوفة في العراق في المقر الرئيسي لانطلاق الدعوة العباسية نظرا لوجود الكثير من أنصار البيت الذين يعتقدون بأحقية الخلافة.

[1] الحياة السياسية في الدولة العربية ، محمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1964: 172 .
[2] المرجع نفسه: 180.

كما أنها قريبة من خراسان التي كانت بؤرة النزاع والصراع بين القيسية واليمنية العرب، وفعلا استطاعت الخلافة العباسية إيجاد الكثير من الأنصار في خراسان .[1]

لقد اتفق العباسيون سرًا مع سكان خراسان من العرب والفرس والأتراك وكان أبو العباس السفاح هو أول الحكام العباسيين ثم خلفه أخوه أبو جعفر المنصور، وفي هذه الفترة ثَبُتَ الخلفاء دعائم الدولة العباسية، وتخلصوا من الطامعين والنزاعات الداخلية للسيطرة على الحكم بما فيها من ذلك المطالبين من آل بيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث خدعهم العباسيون في بداية ثورتهم على الأمويين بأن الحكم سيكون لهم لأحقيتهم فيه .[2]

وتعدّ المرحلة التي استلم فيها هارون الرشيد وأبناؤه المأمون والمعتصم والواثق بن المعتصم مرحلة القوة والازدهار حيث تميزت بقوة السلطة المركزية، والتنظيمات الإدارية، والإصلاحات، والفتوحات العظيمة .

مرحلة الخلافة العباسية :

قسّم المؤرخون الخلافة العباسية إلى مرحلتين، اتصفت الأولى منها بسيطرة شبه كاملة للفرس على الجهازين العسكري والإداري، وظهر مفهوم الوزارة نقلا عن نظام الحكم في الأندلس، وظهور جهاز وظيفي يتولى أعمال الكتابة التي يوجهها الخليفة إلى الوزير أو القضاة والولاة في الدولة، نتيجة اتساع رقعتها ودخول الكثير من الطوائف إليها .

بينما اتسمت المرحلة الثانية بالضعف والانهيار وسيطرة القادة والجند الأتراك على الخلفاء، وانغماس المجتمع بالترف، وظهور الشغوبية، وهم قوم معتصبون ضد العرب ويفضلون عليهم العجم،

[1] تاريخ الرسل والملوك، الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة، 1966: 200.
[2] المرجع نفسه : 215.

إضافة إلى ظهور الحركات الانفصالية التي شكلت دويلات صغيرة في مختلف مناطق البلاد مما زاد ضعف الدولة العباسية .[1]

عصور الدولة العباسية :

– العصر العباسي الأول : (132هـ–334هـ)

يبدأ العصر العباسي الأول في طبيعة الحال منذ بداية عهد الدولة العباسية وقيامها في عام 749م ويمتد حتى العام 846م، أي حوالي قرنا كاملا كما ويعرف هذا العصر بالعصر الذهبي للدولة العباسية، فهذا العصر كان شاهدا لبلوغ هذه الدولة على مراتب الحضارة الإسلامية العباسية، فيلاحظ فيه تطورا علميا وعمرانيا لافتا، ولا ينسى هذا الطابع الفكري والثقافي والأدبي، كما أن أهم ما يمكن ذكره هو أن هذا العصر تميز بوجود سلطة حقيقية وتامة للخلفاء العباسيين .

– العصر العباسي الثاني : (334هـ–656هـ)

وهو على امتداد ما بقي من عمر الدولة العباسية وهو حتما ليس بالسيّر، إذ يزيد على أربعة قرون، فجعل العلماء والمؤرخون هذه الفترة عصرا عباسيا ثانيا ويمتد بين الأعوام 846م– 1258م، وهذا العصر يحمل أحداثا بارزة، يمكن تلخيص أهمها بانهيار حكم الخليفة الفعلي، وهو ما انعكس على مظاهر الحضارة في العصر العباسي، حيث كانت الدولة تدار من وراء حجاب، فحكم فعليا الفرس ثم تبعهم بذلك السلاجقة والأتراك، وهذا على مدة تقدر بقرنين كاملين وذلك إلى جانب ما يعرف تاريخيا بحكم الخدم، وينتهي هذا العصر بسقوط الدولة على يد المغول .[2]

[1] الخلافة العباسية (عصر القوة والازدهار)، فاروق عمر فوزي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2003م: 170.
[2] المرجع نفسه: 184 .

وفي العصر العباسي ظهر نوعان من العلماء الأول الذين غلب على ثقافتهم النقل والاستيعاب، ويسمون أهل علم، والثاني الذين يغلب على ثقافتهم الإبداع والاستنباط ويسمون أهل عقل .

ويذكر ابن خان في كتابه : " وفيات الأعيان " الجزء الأول أن الخليل ابن حمد يجتمع بابن المقفع وتحدثنا في شتى المسائل فلما افترق قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال رأيت رجلا علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل فقال رأيت رجلا عقله أكبر من علمه .

ويعتبر الإمام الشافعي من أشهر أئمة هذا العصرّ ، الذي جمع بين مدرستي النقل والعقل، بما أوتيه من سعة العقل والقدرة على الابتكار والثقافة الواسعة .[1]

وازدادت الثقافة بترجمة الكتب في عهد هارون الرشيد بعد أن وقع في حوزته بعض المدن الرومية الكبرى فأمر بترجمة ما قدر عليه المسلمون من كتب اليونان، كما نشطت حركة الترجمة بفضل تشجيع البرامكة للمترجمين، وقد اهتم العباسيون بنشر العلوم الطبية وتقدمها، فشجعوا الأطباء وأسسوا المدارس الطبية والمستشفيات وادعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية التي كان يجتمع فيها الأطباء من البلاد كافة في موسم الحج، حيث يعرضون نتائج أبحاثهم ويعرضون نباتات البلاد الإسلامية ويصفون خواصها الطبية .

وأصبحت بغداد في الشرق وقرطبة في الغرب من أهم مراكز الثقافة الطبية الإسلامية، وأمر أبو جعفر المنصور بناء مستشفى للعميان ومأوى المجاذيب وملجأ للعجائز في بغداد .

[1] فجر الإسلام ، أحمد أمين، المرجع السابق: 250.

الفصل الأول : العصر العباسي

1- نبذة عن الخلافة العباسية .

2- امتزاج الثقافات والحضارات في العصر العباسي .

3- تفشي اللحن في العصر العباسي .

1. نبذة عن الخلافة العباسية

تولى العباسيون الخلافة الإسلامية سنة 132 للهجرة حيث بويع لأولهم أبي العباس السفاح بالكوفة، واستمرت خلافتهم إلى سنة 656 هـ حيث سقط عبد الله المستعصم قتيلًا بين يدي هولاكو خان المغولي الذي هو من أعقاب جنكيز خان موحّد التتار الخارج بهم إلى بلاد الإسلام .

جاءت الرايات السود (رايات بني العباس) من المشرق فأقعدت العباسيين على عرش بني أمية وجاءت رايات التتار من الشرق فثلث عرشهم في بغداد زهرة المشرق ظهر نجم نحسهم .

مكثت الدولة العباسية مائة سنة كانت لخلفائها الكلمة العليا والسيادة التامة على جميع العالم الإسلامي (ما عدا الأندلس) يقولون فيسمع لهم ويأمرون فيأتمر الناس ولا يجسر أحد على مخالفتهم والوقوف في وجه جنودهم إلا منافسهم في القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو عمّهم من آل أبي كالب وبعض الخوارج الذين كانت تخبو تاريخهم حينا وتلمع، ثم تجيء القوة العباسية الهائلة على ذلك بسرعة .

ثم جاء بعد ذلك قرن آخر من (222 هـ إلى 334 هـ) أخذت الدولة في النزول شيئا فشيئا، وضعفت تلك المكانة التي كانت لهم في نفس الأمم الإسلامية، وأجبر (العلماء) الأمراء بالأطراف على الاستقلال وصار أمر العباسيون يضمحل حتى لم يبق بيدهم إلا العراق وفارس والأهواز .[1]

وهذه كانت مملوءة بالاضطراب والفتن، وآل الأمر إلى أن يتولى بغداد مملوك تركي أو ديلمي يطلق عليه أمير الأمراء له النفوذ التام والسلطان المطلق والولاية العامة وليس للخلافة من الأمر شيء.

جاء بعد ذلك دور ثالث من (334 هـ إلى 447 هـ) ليس للخليفة فيه اسم الخلافة، أما السلطان الفعلي فكان لأمة فارسية هي الأمة الديلمية التي يمثلها السلطان من بني نوية الذي يقيم ببغداد فصار الخليفة كأنه موظف يناول منهم ما يقوم بأوده وليس له التصرف ولا نفوذ يؤمر فيأتمر

[1] الدولة العباسية، تكامل البناء الحضاري، عيسى الحسن، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009: 5.

ويفعل ما يراد، وليس له على أنفس المالكين شيء من السلطان الديني لمبايعتهم له في العقيدة، فقد كانوا غلاة يدينون بفضل على آل بيته على من عداهم، وإنما رضوا ببقاء الخليفة العباسي ليكون أمره عليهم هينا يبقونه متى رأوا في بقائه خيرا لهم ويعزلونه أو يقتلونه متى رأوا في ذلك مصلحتهم .[1]

جاء بعد ذلك دورا آخر من سنة (447 هـ) إلى سنة (590 هـ) انتقل السلطان الفعلي فيه إلى أمة تركية يمثلها السلطان من آل سلجوق يقيم ببلاد الجبل لا في بغداد، وكان بنو العباس مع هذه الدولة أحسن حالا منهم بني بويه، فإن هؤلاء كانوا يحترمون الخلفاء تديّنًا، وكانوا يبدون لهم من مظاهر التعظيم والإجلال ما يقضي بمنصبهم الديني .

مكث العباسيون بعد سقوط الدولة السلجوقية 66 سنة لم يكونوا فيها تحت سلطان أحد، بل كانوا مستقلين بملك العراق إلى أن قام المغول والتتار بحركتهم التي ابتدأت بأقصى تركستان وعصفت ريحهم على البلاد الإسلامية فأخذت أنفاس الدولة العباسية وإزالتها من بغداد على يد هولاكو حفيد جنكيز خان سنة (656 هـ) .

ينتسب العباسيون إلى العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الفرسي، وهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان أسن من الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وكان من أكبر رجال بني هاشم مكانة وأكثرهم مالا في الجاهلية فقلّدوه قيادتهم وكان رئيسهم المطاع بعد وفاة أبي طالب المتولي لأمورهم، وكانت إليه السقاية والرفادة وعمارة المسجد الحرام، فإنه كان لا يدع أحدا يسبّ في المسجد ولا يقول فيه هجرًا يحملهم على عمارته في الخير لا يستطيعون لذلك امتناعا .[2]

لأن ملأ قريش كانوا قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك فكانوا له أعوانا عليه وأسلموا ذلك إليه، وقد حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم، وشهد بدرًا مع المشركين مكرها فأنشر فافتدى نفسه ورجع إلى مكة، ثم أسلم وكتم إسلامه، ثم هاجر إلى المدينة قبل الفتح بقليل، وشهد فتح مكة

[1] الدولة العباسية، تكامل البناء الحضاري، المرجع السابق: 6.

[2] المرجع نفسه: 8.

وثبت يوم حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجُله ويقدِّره، وكانت وفاته بالمدينة في رجب سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة ودفن بالبقيع.

وقد وردت في فضله بعض الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم منها:

أ- ما رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ العباس منّي وأنا منه » .

ب- ما رواه المسلم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم عمر على الصدقة فقيل : منع ابن جميل وخالد ابن الوليد والعباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدا فقد احتبس ذراعه واعتده في سبيل الله وأما العباس فهي علي ومثلها معها » ثم قال : « يا عمر أما شعرت أن عم الرجل منّو أبيه» .[1]

أولا: بداية العصر العباسي الأول

لم يكن قيام الدولة العباسية مجرد بيعة خليفة دون آخر أو انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين في حكم المسلمين ويعتبر هذا الحدث أكثر من مجرد تغيير في الأسرة الحاكمة .

لقد كانت الثورة العباسية وما نتج عنها من تغير جذري في المجتمع الإسلامي نقطة تحول هامة وفاصلة في هذا المجتمع لازمته طوال العصر العباسي الأول أدرك الإمام (محمد بن علي العباسي) الذي أنشأ الدعوة العباسية والذي سعى لنيل الخلافة أن نقل حق الخلافة من بيت إلى بيت آخر لا بد أن يسبقه إعداد الأفكار وتهيئة النفوس لتقبل الوضع الجديد .[2]

[1] الدولة العباسية، تكامل البناء الحضاري، المرجع السابق: 15.

[2] المرجع نفسه: 21.

لذلك التزم جانب الحيطة والحذر حين طلب من أتباعه دعوة الناس إلى ولاية آل البيت دون تسمية أحد مرت الدعوة العباسية بمرحلتين :

– المرحلة الأولى : تبدأ في مستهل القرن الثاني للهجرة وتنتهي بانضمام (أبو مسلم الخراساني) إلى الدعوة العباسية، وقد تميزت الدعوة في هذا الطور بالسرية التامة وكانت خالية من أساليب العنف في الوقت الذي كانت فيه دولة الخلافة الأموية متماسكة، وأحدث الإمام محمد بن علي العباسي تغييرا استراتيجيا هاما في فحوى الدعوة حين خصصها لنفسه وكشف ذلك لمن يقومون بالدعوة على أن يبقى هذا الأمر وفقا عليهم فقط دون القيامة، وتوفي الإمام محمد عام 125هـ، بعد أن قطعت الدعوة شوطا كبيرا وقد أوصى بالإمامة من بعده لابنه إبراهيم .[1]

– أما المرحلة الثانية : فتبدأ بانضمام (أبو مسلم الخراساني) إلى الدعوة العباسية واستمرت حتى 132هـ، هو العام الذي سقطت فيه دولة الخلافة الأموية وقامت دولة الخلافة العباسية، تميزت الدعوة في هذا الطور باستعمال القوة لتحقيق هدفها، واختار إبراهيم الإمام أبا مسلم الخراساني ممثلا له في خراسان، فقلده الأمر وأرسله إلى هناك وبعد أن اطمأنّ (أبو مسلم الخراساني) إلى الوضع في خرسان أعلنت الثورة هناك عام 129هـ على يد (سليمان بن كثير) فالتفت شيعة العباسيين حول (أبي مسلم) وقد أخذوا السواد شعارا في ملابسهم وأدويتهم.[2]

قيادة العمليات العسكرية من (أبي مسلم) إلى (فحصة بن شيب) يأمر من الإمام (إبراهيم بن محمد) الذي سيطر على العراق وضمها تحت راية الخلافة العباسية، وبعد سيطرة أنصار الثورة على الوضع في العراق حان الوقت لاختيار الشخص من آل محمد الذي أعلنت باسمه الثورة وكان اسم (إبراهيم الإمام) هو الشائع، واكتشف الأمويون أمره لذلك قبض عليه (مروان الثاني) وسجنه ثم قتله، وتؤكد الروايات أنه أوصي إلى أخيه (أبو العباس عبد الله بن محمد) وجعله الخليفة بعده وأمره بالمسير إلى الكوفة .

[1] مقاييس اللغة ، ابن الفارس ، دار الجبل ، بيروت ،ط1، 1991 : 52.

[2] الخلافة العباسية (عصر القوة والازدهار)، المرجع السابق: 190.

ألقى (أبو العباس) على عادة الخلفاء لدى انتخابهم خطبة في مسجد الكوفة أوضح فيها الهدف الذي من أجله قامت الثورة العباسية وندّد بالأمويين الذين ساندوا الثورة بزيادة عطياتهم ولم ينس أن يذكرهم بأنه : « السفاح، المسيح، التأثر، والمسير » .

كان أبو العباس حين بويع بالخلافة لا يملك إلا ما ملكه جنده، فكانت مهمته شاقة وغيره، كان عليه أن يثبت أقدام العباسيين في الحكم، ويوطّد أركانهم فرأى أن يستعين بإخوته وأعمامه وأبناء إخوته ويشركهم في أمره حتى لا تستأثر للقواد والدعاة بالأمر دونهم من جهة، ومن جهة أخرى أراد نقل السلطة تدريجيا إلى أيدي أفراد الأسرة العباسية .

وقبل وفاة (السفاح) عهد الخلافة لأخيه (أبي جعفر المنصور) ومن بعده (عيسى بن موسى)، وكتب العهد بذلك وأعطاه إلى عيسى بن موسى، وأصيب السفاح بالجذري وهو في الأنبار توفي عام 136هـ ودفن في قصره هناك .

ثانيا: خلافة أبي جعفر المنصور : أبي مسلم الخراساني

تولى أبو جعفر المنصور الخلافة ولم تكن قد توطدت ودعائمها بعد، وقد خشي من منافسة عمه (عبد الله بن علي) الذي كان يطلب الخلافة لنفسه كما انتابه الخوف من تعاظم نفوذ (أبي مسلم الخرساني) ومن خروج بني عمه آل علي بن أبي طالب على حكمه.[1]

فعزم على ضرب أعدائه بعضهم ببعض حتى تخلوا له الساحة السياسية فندب أبا مسلم الخراساني لقتال عمه عبد الله رغم علاقة الخليفة غير الجيدة بأبي المسلم مظهرا بذلك براعة سياسة، بالإضافة إلى أنه كان يأمل استقطاب الخراسانيين في جيش عمه عن طريق حاكم (خراسان) الذي يبدي استعدادا للتصدي لحركة التمرد، وتمكن (أبو مسلم) بدهائه السياسي والعسكري من التغلب على (عبد الله) في معركة جرت بينهما قرب حصين في منطقة الجزيرة وفرّ (عبد الله) بعد هزيمته

[1] العصر العباسي الأول ، عبد العزيز الدوري ، دار الطليعة ، بيروت، ط1،1997: 10 .

إلى البصرة ملتجأ إلى أخيه (سليمان) وظل متواريا عنده إلى أن علم (المنصور) بذلك [1] فأرسل بطلبه وأعطاه من الأمان ما وثق به، وكما جاءه قبض عليه وسجنه وذلك في عام 139هـ، وظل مسجونا حتى عام 147هـ حين قتله (المنصور) .

كان أبو المسلم يشعر بأنه المؤسس الحقيقي لدولة الخلافة العباسية وأخذته العزة حين رأى التفاف الفرس حوله يأتمرون بأمره ويرون فيه زعيما قوميًا، وراودته أحلام وطموحات شخصية حول التفرّد بحكم (خراسان) وبلاد (إيران) كلها وتدل تصرفاته بعد نجاح الثورة العباسية وعلاقته بالخلافة منذ عهد الخليفة الأول دلالة واضحة على هذا الاتجاه فقد كثر رده لأمر (أبي العباس) وكان أبو جعفر شديد الحساسية تجاه طموحاته، فحث أخاه السفاح على قتله لكن (أبا العباس السفاح) لم يقتله بسبب ولائه في خدمة الدعوة العباسية وكانت علاقة (أبو المسلم) بأبي جعفر سيئة جدا حتى لجأ المنصور إلى أسلوب الدهاء للإيقاع بعدوّه، فتوجه إلى (المدائن) وكتب إليه يدعوه لزيارته وهو في طريقه إلى (خرسان) لكن أبا المسلم درك مرض الخليفة وردّ عليه برسالة عبّر فيها عمّا في صدره، ولم ييأس (أبو جعفر) من الإيقاع بخصمه ونجح رسوله وهو (أوحيمد المروزي) في التأثير عليه وانتزاع موافقته بالرغم من معارضة أركان حربة، هكذا تحقق المنصور ما أراده ودارت بين الرجلين محاورة أقرب إلى المحاكمة، وبعد أن انتهى (المنصور) من مواجهة خصمه بالتهم المنسوبة إليه، لم يكن لأبي مسلم جواب إلا أن يذكر الخليفة بخدماته في سبيل الدعوة الإسلامية، وقيل أن تضربه السيوف استنجد بالخليفة وأخذ يعتذر أمامه عما بدر منه لكن المحاولة هذه لم تغن عنه القتل في عام 137هـ، وهكذا تخلص (المنصور) من هذا المنافس الخطر الذي أقض مضجعة وحينما بدى ابن أخيه (عيسى بن موسى) احتجاجا على طريقة القتل قال له (المنصور) والله ليس لك على وجه الأرض عدوّ أعدى منه، وهل كان لكم ملك في حياته ؟ وعندما علم جعفر بن حنطلة بقتل (أبي مسلم) قال للخليفة : « يا أمير المؤمنين عدّ من هذا اليوم خلافتك » .

[1] أخبار الخلافة العباسية ، مؤلف مجهول، تح: الدكتور عبد العزيز الدوري، الدكتور عبد الجبار المطلبي، ط1، د ت، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان: 192.

وخرجت بعض الحركات بعد ذلك احتجاجا على قتل (أبي مسلم) إلا أن المنصور استطاع إخمادها .[1]

اعتمد العباسيون في تأسيس دولتهم على الفرس الناقمين على الأمويين لاستبعادهم أباهم من مناصب الدولة والمراكز الكبرى واحتفاظ العرب بها، كذلك استعمال العباسيون الشيعة للمساعدة على زعزعة كيان الدولة الأموية، نقل العباسيون عاصمة الدولة بعد نجاح ثورتهم من دمشق إلى الكوفة قم الأنبار قبل أن يقوموا بتشديد مدينة بغداد لتكون عاصمة لهم والتي ازدهرت طيلة ثلاث قرون من الزمن وأصبحت أكبر مدن العالم وأجملها وحاضرة العلوم والفنون.

لكن نجمها أخذ بالأقوال مع بداية غروب الشمس الدولة العباسية ككل، تنوعت الأسباب التي أدت إلى انهيار الدولة العباسية .

انتهى الحكم العباسي في بغداد سنة 1258 م عندما أقدم هولاكو خان التتري على نهب وحرق المدينة وقلّ أغلب سكانها بما فيهم الخليفة وأبناءه، انتقل من بقي على قيد الحياة من بني العباس إلى القاهرة بعد تدمير بغداد حيث أقاموا الخلافة مجددا في 1261م، وبحلول هذا الوقت كان الخليفة قد أصبح مجردا من وحدة الدولة الإسلامية دينيا أما في الواقع فإن السلاطين المماليك كانوا هم الحكام الفعليين للدولة .[2]

استمرت الخلافة العباسية قائمة حتى سنة 1519م عندما اجتاحت الجيوش العثمانية بلاد الشام ومصر وفتحت مدنها وقلاعها، فتنازل أخر الخلفاء عن لقبه لسلطان آل عثمان سليم الأول فأصبح العثمانيون خلفاء المسلمين، ونقلوا مركز العاصمة من القاهرة إلى الاستتانة ظهرت الألقاب في زمان الخلفاء العباسيين خلافا لما كان عليه الخلفاء الأمويون الذين قال فيهم الخوارزمي : « ولا

[1] الأخبار الطوال ، عصام محمد الحاج علي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م: 352 .

[2] تاريخ الموصل ، الأزدي ، تح: د.علي حبيبة، دار التحرير ، القاهرة، ط1967،1م: 115 .

تصوت لهم ولا الألقاب » كثرة التلقيب في عهد العباسيين ابتداء من الخلفاء كالسفاح والمهدي والهادي والرشيد وافتدى بهم الدولة .[1]

فالدولة العباسية دراسة في سياستها الداخلية من أوائل القرن الثاني الهجري حتى ظهور السلاجقة يتجلى فيه جذور الدعوة العباسية وجهود العباسيين لنقل الخلافة إليهم معتمدين في ذلك على العناصر الفارسية في الكوفة وخرسان .

وعلى الرغم مما قام به الموالي الفرس من جهد كبير في مساندة الدولة العباسية، فلم يلبث الخلفاء نكلوا بقيادتهم التي تمثلت في أبي سلمة الخلال، وأبي مسلم الخراساني وكان ذلك في عهد أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور .

وظهرت مشكلة ولاية العهد أيام أبي جعفر المنصور، إذ عزّ على أبي جعفر أن يؤوّل ذلك الملك الواسع إلى ابن أخيه عيسى بن موسى فمهّد لخلع عيسى بن موسى وتعيين ابنه المهدي وليًا لعهده، وسار المنصور في ذلك على ترغب عيسى بن موسى في أن يخلع نفسه من ولاية العهد طواعية، فلما لم يستجب اتجه إلى دور الترهيب حت أذعن عيسى بن موسى في النهاية ونزل عن ولاية العهد للمهدي .

وظهر الدور الفارسي في الدولة العباسية أيام هارون الرشيد، حيث ظهرت أسرة البرامكة التي استبدت بالأمور دون الخليفة، وسيطروا على مرافق الدولة ومواردها المالية .

بحيث كان هارون الرشيد يطلب أقل القليل من المال، فلا يصل إليها بينما تلقى الأموال من موكب بن خالد البرمكي مما حذا بالخليفة إلى أن يبكيه ويقضي على أسرتهم .[2]

في أوائل القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) ظهر بنو بويه (334هـ – 447هـ) نتيجة استفحال نفوذ الأتراك وضعف الخلافة العباسية كما ظهر الحمدانيون في منطقة الجزيرة منذ سنة

[1] تاريخ الموصل ، المرجع السابق : 191 – 194 .

[2] تاريخ الرسل والملوك، المرجع السابق: 102 .

281هـ/894م، واستمرت دولتهم في الموصل حتى سنة 498هـ، وفي خرسان وما وراء النهر ظهرت الدولة السامانية التي كان من أثر ظهورها مدّ النفوذ العباسي إلى أوسط آسيا، غير أنّ تنافس أمراء السامانيين وتدخل الوزراء وقادة الجيش في شؤون الحكم أدى إلى انقراض الدولة السامانية التي استمرت قرابة مائة وخمسة وأربعين عاما (261 هـ – 395هـ / 874 – 1005م) وقامت على أنقاض دولة السامانيين الدولة الغزنوية في بلاد المشرق الإسلامي والتي مدت نفوذها إلى الولايات الشرقية منذ أيام سيكتين إلى أن سقطت تحت ضربات السلاجقة في موقعة داندانغان سنة 431هـ/ 1040م، وانتهى بذلك عصرها الذهبي في المشرق الإسلامي حيث انسحب سلاطين الغزنويون إلى بلاد الهند واستمروا هناك إلى أن زالت دولتهم على يد شهاب الدين العوري سنة 582هـ/1186م.[1]

ثالثا: هارون الرشيد أبو جعفر (170–193هـ)

الرشيد هارون أبو جعفر بن المهدي بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولد بالري سنة 145هـ وأمّه أم ولد تسمى الخيزران وهي أم الهادي، ونشأ الرشيد نشأة رائعة ربت فيه قوة الشخصية وسماحة النفس، وألقى به أبوه المهدي في نضم الأحداث فجعله أمير الصائفة سنة (163هـ) وفي سنة 164هـ ولاه المغرب كله من الأنبار حتى أطراف إفريقية وفي سنة 166هـ عينه والده وليا للعهد بعد الهادي، استخلف بعد موت أخيه الهادي ليلة البيت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة 170هـ في بغداد في المسجد الجامع.[2]

ومع أن البرامكة تمتعوا بصلاحيات واسعة، إلا أن شخصيات عربية مهمة كانت تنافسهم في البلاط نذكر منهم الفضل بن سليمان الطوسي ومحمد فروخ الأزدي ويزيد بن مزيد الشيباني، والكثير

[1] الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، محمد بن علي بن طباطبا، مكتبة ومطبعة علي الصبيح وأولاده بالأزهر، القاهرة، ط1، 1962 : 126 – 127 .

[2] عيون الأخبار ، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الهيئة المصرية العامة، القاهرة،ط1، 1973 : 06 .

من أمراء العباسيين وكذلك كل من الفضل بن الربيع بن يونس وعلي بن عيسى بن ماهان وغيرهم، وقد لعبت هذه الشخصيات والكتل دورا مهما في سياسة الرشيد وإجراءاته المختلفة .[1]

الرشيد أوسع االخلفاء العباسيين شهرة وأكثرهم ذكرا حتى في المصادر الأجنبية كالحوليات الألمانية على عهد الإمبراطور شارلمان التي ذكرته باسم Aron والحوليات الهندية والصينية في أقصى المشرق التي ذكرته باسم Alun .

أما المصادر العربية فقد أفاضت الكلام عنه فقد امتزجت في أخباره حقائق التاريخ بروعة الخيال والأقاصيص فأصبح رمز العصر الذهبي في الإسلام واكتسب مجموعة من الصفات البعيدة الاختلاف يندُرُ أن تجتمع في شخص واحد .

رابعا: حركة الزنج :[2]

- **موقف الخلافة العباسية تجاهها :**

تعتبر حركة الزنج من الثورات التي هددت الخلافة العباسية وهزت كيانها، وهم طائفة من عبيد إفريقية الذين جيء بهم في الغالب من ساحل إفريقيا الشرقي وهو أرض الزنج التي تدعى زنجبار أو زنزبار، وتشمل هذه البلاد مساحات واسعة من إفريقية بما في ذلك المناطق الداخلة وجزءًا من المنطقة الواقعة قرب البحر الأحمر .[3]

وكان لهذا الشعب فروع وعشائر مختلفة، حيث كانوا يمثلون تجارة الرقيق الأسود الرائجة في تلك العصور، فقد كان يمارسها العرب وبقيت مستمرة حتى وقت قريب في المناطق الإفريقية الممتدة ما بين خطي عرض 5 و15 جنوبا، وكانت هذه المناطق قديما وحتى وقت قريب مقصد تجار الرقيق الأسود.

[1] تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن اليعقوب بن جعفر بن وهب ،دار بيروت، بيروت،ط1، 1960م : 106 .

[2] الخلافة العباسية (عصر القوة والازدهار)، المرجع السابق: 51 – 52 .

[3] كتاب الفتوح ، أبو محمد أحمد ابن الأعثم ، دار الندوة الجديدة، بيروت،ط1، (دت) : 173 .

وقد استخدم العبيد على نطاق واسع في الأراضي الواقعة شرقي البصرة، حيث تكثر المستنقعات في القسم الأدنى من دجلة والفرات وكانت مهمة هؤلاء العبيد "كسح السياح " أي إزالة الطبقة الملحية التي تغطي هذه الأراضي وإظهار التربة الخصبة الصالحة لزراعة ونقل السياح وجعله أكواما أو تلالًا ليستفاد منه في الوقت نفسه .

سكن الزنوج العراق منذ مدة طويلة وظهروا بغرات لكنهم أفسدوا الزروع واستولوا على الثمار كلها ولما ولى خالد بن عبد الله القسري البصرة كانوا قد كثروا فشكا إليه الناس أذاهم فقرهم وقبل جماعة منهم وفتك بهم .

- **حالة الخلافة العباسية :**[1]

كان الخليفة المتوكل أو خلفاء العصر العباسي الثاني وقد دبر ابنه المنتصر مؤامرة لقتله، وأن الأتراك بايعوه بالخلافة من بعده، ولكنه لم يتمتع بالخلافة غير ستة أشهر وقُتِل على أيدي الأتراك الذين استولوا منذ قتل المتوكل على الدولة العباسية، واستضعفوا الخلفاء حتى كان الخليفة لعبة في يدهم إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه وقتلوه .[2]

وقد جلس على سرير الخلافة بعد المنتصر أحمد بن محمد بن المعتز بن المعتصم ولقّب المستعين بالله فكانت أيامه كثيرة الفتن ودولته شديدة الاضطراب ولم يلبث أن عزل وقبل على يد هؤلاء الأتراك الذين اختلفوا في أمور الدولة العباسية وتسلطوا على الحياة الخلفاء وبايعوا المعتز، ولم تطل الخلافة فقد قتله الأتراك وبايعوا المهدي ابن الواثق بالخلافة سنة 255هـ/868 -869م، وكان من أحسن الخلفاء سيرة وأظهرهم ورعًا وأكثرهم عبادة، وسرعان ما اجتمعت كلمة الأتراك على قتل الخليفة المهدي في رجب سنة 256هـ/يوليو 870م، وبايعوه المعتمد بن المتوكل بالخلافة وكان إذا ذاك

[1] مخطوط أنساب الأشراف ، أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، تح:سهيل زكار – رياض زركلي، دار صادر، دمشق، ط1، 1997: 39 .

[2] المرجع نفسه : 52.

محبوسا بالجوسق، ويقول صاحب الفخري وقد غلب أخوه الموفق حتى لم يبق له من الخلافة إلا اسمها.

كانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع كان هو وأخوه طلحة كالشريكين في الخلافة للمعتمد الخطبة والسكة ، وتسمى بامرأة المؤمنين، ولأخيه طلحة الأمر والنهي وقود العساكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والأمراء، وكان المعتمد مشغولا عن ذلك بلذاته، ويقول السيوطي : « وانهمل المعتمد في اللهو واللذّات وانشغل عن الرعية فكرهه الناس وأبوا أخاه طلحة » .[1]

- **عاصمة الخلافة :**

لما ولي أبو جعفر انتقل من الأنبار إلى الهاشمية التي أسسها أخوه أبو العباس وأقام بها إلى أن عزم على تأسيس مدينة بغداد حاضرة بني العباس الكبرى ومظهر فخرهم ومدينتهم، وكان يريد أن يكون بعيدا عن الكوف فخرج يرتاد مسكنا لنفسه وجنده ويبتني به مدينة حتى صار إلى موضع بغداد وقال : هذا موضع معسكر صالح، هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء يأتينا فيها كل ما في البحر وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينة وما حول ذلك وهذا الفرات يجيء فيه كل شيء من الشام والرقة وما حول ذلك، فنزل وضرب عسكره على الصراة وهو نهرين دجلة والفرات، ثم أمر بخط المدينة على مثال وضعه وهي مدورة الشكل تقريبا، وجعل لها سورين أحدهما داخل سور المدينة وسمكه في السماء، خمسة وثلاثون ذراعا وعليه أبرجه سمك كل برج منها فوق السور خمسة أذرع وعلى السور شرق وعرض السور من أسفله نحو عشرين ذراعا ويليه من الخارج فصيل بين السورين وعرضه 60 ذراعا قم السور الأول وهو سور الفصيل ودونه خندق .

وللمدينة أربعة أبواب كل اثنين منها متقابلان ولكل منها باب دون باب بينهما دهليز ورجبة تدخل إلى الفصيل الدائر بين السورين، فالأول باب الفصيل والثاني باب المدينة فإذا دخل من باب خرسان عطف على يساره في دهليز معقود بالآخر والحص وعرضه عشرون ذراعا وطوله ثلاثون،

[1] الخلافة العباسية ، المرجع السابق: 54 .

المدخل إليه في عرضه والمخرج منه وطوله يخرج إلى رحبة مادة إلى الباب الثاني طولها 60 ذراعا وعرضا 40، والأبواب الأربعة على صورة واحدة من الأبواب والفصيلان والرحاب والطاقات، ثم الباب الثاني هو باب المدينة وعليه السور الكبير فيدخل من الباب الكبير إلى دهليز أرج معقود بالآخر والجص طوله 20 ذراعا وعرضه 12 وعلى كل أزج من آزاج هذه الأبواب مجلس له درجة على السور يرتقي إليه منها على هذا المجلس، وابتنى قصره الذي يسمى الخلد على دجلة وكان موضعه وراء باب خرسان ومد المنصور قناة نهر دجيل الآخذ من دجلة وقناة من نهر كرحاية الآخذ من الفرات وجرهما إلى المدينة في عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالصاروخ والآخر من أعلاها فكانت كل قناة منهما تدخل المدينة .[1]

وتنفذ في الشوارع والدروب والأرياض وتجري صيفا وشتاء لا ينقطع ماؤها في أي وقت وجرّ لأهل الكرخ أربعة أنهر يقال لأحدهم نهر الدجاج للثاني نهر القلائين وللثالث نهر طباق وللرابع نهر البزازين، والكرخ هو أسواق المدينة التي نقلها المنصور من مدينة في الجهة الجنوبية من الصراة ونهر عيسى، بناها المنصور وكل صنف منها في موضعه وبنى لأهل الأسواق مسجدا يجمعون فيه ولا يدخلون المدينة وسميت الشرقية لأنها شرقي الصراة ولأبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نقطوية في الكرخ .

سَقَى أَرْبَعَ الكَرَخِ الفَوَادِي بَدِيمَةً وَكُلُّ مُلَثِ دَائِمِ الهَطَلِ مُسَبَل

مَنَازِلَ فِيهَا كُلُّ حُسْن وَبَهْجَةٍ وَثُلُكَ لَهَا فَضْلُ عَلَى كُلِّ مَنْزِلِ

وفي 151 بنى المنصور الرصافية للمهدي ابنه وعمل لها سورا وخندقا وميدانيا وبستانا وأجرى لها الماء وربع الرصافة، يسمى عسكر المهدي لأن المهدي عسكرية عند شخوصه من الري.[2]

[1] الحياة السياسية في الدولة العربية، المرجع السابق: 182 .

[2] مخطوط الأنساب الأشراف ، المرجع السابق: 78 .

وبنى المنصور قصره والجامع في وسط المدينة وكان في صدر قصر المنصور إيوان طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون، وفي صدر الإيوان مجلس عشرون ذراعا في عشرين وسمكه عشرون وسقفه فيه وعليه مجلس فوقه القبة الخضراء وسمكه من أول خد عقد القبة عشرون ذراعا، فصار من الأرض إلى رأس القبة الخضراء ثمانين ذراعا، وعلى رأس القبة تمثال فرس ليه فارس بيده الرمح .

وفي عهد المنصور هرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى بلاد الأندلس، وأسس بها الدولة الأموية الثانية، وكان المنصور يعجب به وبقدراته، وبعزيمته التي بعلته وهو شريد طريد يؤسس ملكا في هذه البلدان القاضية ولم يكن بين الرجلين بالضرورة علاقة حسنة ولم يتسمم[1] عبد الرحمن .

2. امتزاج الثقافات والحضارات في العصر العباسي:

أولا: الانتقال من الامويين الى العباسيين

سمى العباسيون حكوماتهم دولة فكانت في زعمهم فاتحة عصر جديد في الاسلام ويقول الجاحظ دولة بني العباس اعجمية خرسانية ودوله بني مروان اموية عربية ويروى لها وزن ان حكم العرب انتهى بمجيء العباسيين وان الفارسية انتصرت على العربية تحت ستار الامية الإسلامية ولعل هذه الأقوال صحيح الا انها متطرفة فمن المبالغة ان نقول ان سلطان العرب انتهى بسقوط الامويين، فالخلفاء العباسيون كانوا عرب هاشميين من جهة الاب على الاقل كانوا يعتزون بنسبهم، ومع انهم قربوا الفرس الا انهم سيطروا عليهم فنكلوا بهم حيث شعروا بتعاظم نفوذهم كما فعل ابو العباس بالخلال والمنصور بابي مسلم الخرساني والرشيد بالبرامكة، وقد اعطيت بعض المناصب المهمة كالوزارة للفرس ولكن عدد كبير من الولاة والقواد كانوا عربا فسلطان العرب لم ينته بسقوط الأمويين اذا كانت دولة بني العباس امية إسلامية دولة بني امية عربية إسلامية.

[1] لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، (د.ط) ، مج 3 : 381 .

يتميز العهد الجديد بعلاقته بالدين، فادعى العباسيون انهم يرودون احياء السنة وإعادة حكم العدل وارجاع الخلافة الحقة بدل الملك الذي أقامه الامويين فارتدى خلفائهم البردة كرمز السلطة الدينية في المناسبات الخاصة واحاطوا انفسهم بالفقهاء وهكذا اتحد الدين والسياسة وكانت غاية العباسيين الاستفادة من الدين لتثبيت مركزهم السياسي.

تغيرت نظرية الحكم في العصر العباسي، فبعد ان كان الخليفة الاموي اشبه برئيس قبيلة، أصبحت السلطة عند العباسيين مقدسة ومستمرة من الله وصار الخليفة خليفة الله على الأرض. اما من الوجهة الثقافية فقد كان العصر العباسي متسما للأموي، اذا كان العصر الأموي عصر الانتقال تمثل فيه القديم الى جانب الجديد، ففضلا عن وجود العادات البدوية والشعر العربي والدراسات الدينية تسربت عادات وأفكار اجنبية ويونانية في النواحي الدينية والعلمية. في عصر الاموي بدأت حركة التأليف، اذ بدا جمع الشعر الجاهلي وظهرت بوادر الحركة تدوين التاريخ ونشات الدراسات الفقهية وترجمت بعض الكتب. ولعل خالد بن يزيد معاوية اول من بدأ بالترجمة اذ امر ان تترجم له كتب الكيمياء ولم تكن حركة الترجمة في العصر الاموي منظمة بل كانت فردية ولكن ما ان جاء العصر العباسي حتى لقيت من تشجيع الخلفاء ورجال الدولة ومن تطور الزمن ما ساعدها على النضوج والتقدم[1].

جعل العباسيون عاصمتهم في العراق فكان ذلك رمزا لنجاح العراق في نضاله السياسي مع الشام طيلة العصر الاموي، كما ان نقل العاصمة الى العراق ادى ان تسود الثقافة الفارسية والسريانية في الدولة العباسية.

[1] لسان العرب، ابن منظور، تح، امين محمد الوهاب ومحمد الصادق العربي بيروت ط1، 2010م:87/6.

ثانيا: امتزاج الثقافات

هذه الثقافات التي ذكرنا من فارسية وهندية ويونانية وعربية ومن يهودية ونصرانية واسلام والتقت للكهافي العراق في عصرنا الدي نؤرخه، ولكن كل ثقافة في اول امرها تشق لنفسها جدولا خاصا بها يمتاز بلونه وطعمه ثم لم تلبث الا قليلا حتى تلاقت وكونت نهرا عظيما تصب فيه جداول مختلفة الألوان والطعوم، ومختلف العناصر.

كانت الدولة العباسية تمتد من حدود الصين واواسط الهندي شرقا الى المحيط الاطلسي غربا، ومن المحيط الهندي والقرب الافريقي جنوبا الى بلاد الترك والخزر والروم والصقالبة شمالا، وبذلك كانت تضم بين جناحيها بلاد السند وخراسان، وما وراء النهر وايران والعراق والجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر والمغرب العربي، وهي اوطان كثيرة فيها منذ القدم شعوب واقوام وجماعات متباينة في الجنس واللغة والثقافة العربية، غير انهم لم تكد تدخل في نطاق الثقافة العربية حتى اخذت عناصرها مختلفة بالعنصر العربي امتزاجا قويا فإذا بنا ازاء حضارة تتألف من أجناس وعناصر مختلفة فمضت هذه الأجناس تنصهر في الوعاء العربي حتى عدت كأنها جنس واحد[1].

وقد تميز العصر العباسي باختلاط كبير بين الأمم المفتوحة وامتزاجها في السكن والمصاهرة وفي الحياة الاجتماعية والمهن والحرف ...الخ بحيث عدت أحياء المدن الكبرى تعج بالعرب والهنود والاحباش والفرس والترك والاكراد والاورام والارمن وغيرهم. وبحيث أصبح العربي خالص الدم في بغداد (عاصمة العباسيين) نادرا، فالكثرة الكثيرة من أبناء العرب كانت أمهاتهم من السنديات أو الفارسيات أو الحبشيات أو التركيات وكذلك الشأن في الخلفاء أنفسهم[2].

[1] البيان والتبيين، الجاحظ، تح: محمد الهارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط1، 1975م :210.

[2] المرجع نفسه: 215 .

وكان وراء هذا الامتزاج الخمري بين العناصر والشعوب والاقوام بمختلفة امتزاج روحي عن طريق الولاء الذي شرعه الإسلام والسياسة الحكيمة التي قامت على التسامح والاحترام المتبادل، فتحول الولاء إلى الكيان الواحد الى رابطة تشبه رابطة الدم فالشخص يكون فارسيا أو هنديا أو روميا أو حبشيا ويكون عربي الولاء، بل إن رفيقا كانوا بمجرد تحريرهم يصبحون موالي لأصحابهم وينسبون إلى القبائل العربية مثلهم مثل أبنائهم الأصليين.

وبذلك استطاع الخلفاء العباسيون بسيادتهم المتسامحة المنفتحة أن يحدثوا امتزاجا قويا بالعناصر والاقوام والشعوب والجماعات المختلفة التي كانت تتألف منها الدولة[1].

وهو امتزاج لم يبلغوه بامتلاك الأرض المفتوحة، انما بلغوه باحترام للاختلاف والتنوع والتعدد، بالانفتاح وضمان الحرية الاعتقاد شعرت الشعوب غير العربية بالولاء للدولة اسرعت معظمها الى تعلم القرآن الكريم والحديث النبوي، فلم يمض نحو القرن حتى اخذت العربية تسود في انحاء العالم الإسلامي لا بين المسلمين وحدهم بل أيضا بين غيرهم ممن بقي على دينه القديم، لا في البيئات التي كانت قد اخذت تستعرب في عهد ما قبل الإسلام ببيئات العراق والجزيرة والشام فحسب بل أيضا في البيئات النائية في إيران ومصر وبلاد إفريقيا الشمالية[2] فإذا هي تتعرب وتتعرب معها الأطراف الغربية للقارة الأوروبية في الأندلس.

وكان سكان هذه البيئات يتكلمون لغات مختلفة، ففي ايران كانوا يتكلمون الفهلوية، وفي العراق والجزيرة كانوا يتكلمون الآرامية وفي بلاد الشام كانوا يتكلمون هذه اللغة ولهجات عربية مختلفة، وفي مصر كانوا يتكلمون القبطية والعربية وفي المغرب كانوا يتكلمون البربرية بلهجاتها المتنوعة، وكانت

[1] تاريخ الخلفاء، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1975م: 215.
[2] المصدر نفسه:220.

اللغة اليونانية قد أخذت تشيع منذ غزو الاسكندر في الأوساط الثقافية في كل من الشام وايران والعراق والجزيرة ومصر، بينما اللاتينية تشيع في تلك الأوساط شمالي افريقيا والأندلس[1].

وفي العهد العباسي أصبحت شعوبها جزءا أساسيا في المجال الثقافي الحضاري العربي لغة وشعورا وادبا وانتماء، وقد اختلف اسراعها في هذه الانصهار(التعريب) باختلاف مواقعها بعد أو قرب من الجزيرة العربية فكان اسراعها تعربا العراق والجزيرة والشام، وكان تعريبها جميعا قد بدأ بقرون قبل الإسلام فأتمته الفتوح (الإسلامية) سريعا، وتعريب شمال افريقيا تدريجيا[2].

وفي هذا السياق الحضاري والمناخ الفكري الموالي قبل الفرس مثلا على التعرب اقبالا منقطع النظير، فقد اكبوا تعلم على التعلم العربية الى ان اتقنوها واتخذوها سريعا للتعبير عن أفكارهم وعواطفهم بحيث لا نكاد نتقدم في العصر العباسي حتى يصبح جمهور العلماء والكتاب والشعراء منهم، فهم يقبلون على دراسة الشريعة الإسلامية ويتألف فيها نجم ابي حنيفة وتلاميذه، وهم يقبلون على جمع العربية وتدوين اصولها النحوية على نحو ما هو معروف عن سيبويه وهم يقبلون على صناعة الكتابة على نحو ما هو معروف عن ابن المقفع، وهم يقبلون على الشعر بحيث يصبح اعلامه النابغون منهم على نحو ما هو معروف عن بشار وأبي نواس[3].

وقد تعلم كثير من العرب الفارسية واتقنوها، حتى لنراها تدور في مجالسهم وممن اشتهر بإتقانه الفارسية الأطمعي العربي الفخ ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان الفارسية شاعت على السنة كثيرين في الحياة اليومية لبغداد والكوفة والبصرة، وبسبب ذلك ولأنها كانت لغة الحضارة الفارسية دخل منها الى العربية الفاظ كثيرة، وخاصة مأتصل بأسماء الأطعمة والأشربة والأدوية والملابس، ودخل الى العربية في هذا العصر بعض ألفاظ هندية وخاصة أسماء النباتات والحيوانات.

[1] تاريخ الخلفاء، المصدر السابق: 218.

[2] المدخل الى تقويم اللسان، ابن هشام اللخمي، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 2003 : 34.

[3] أساس البلاغة، الزمخشري أبو القاسم محمد بن عمر ، تح: عبد الرحيم، محمود، دار المعارف، بيروت، 1982 : 50.

ولم تعد هذه الألفاظ والكلمات غزوا للعربية وكثيرا ما كانت تعرّب بحيث تتفق واللسان العربي، لقد الف العرب فيها مصنفات كثيرة[1] تمييزا لها وتعريف بها وبذلك اتسعت العربية بفضل هذا الاحتكاك الثقافي الواسع، وتحولت من لغة البدو القديمة الى لغة حضارية مع المحافظة على مقوماتها ومكوناتها الاساسية واوضاعها وأصولها الاشتقاقية والصرفية والنحوية.

وفي الوقت نفسه وكنتيجة طبيعية لهذا الاختلاط الأممي الكبير شاع اللحن في العربية وقد ساق الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" جملة من لكنات بعض الاعاجم، وهي لكنات مردها الى ما كان يجده نفر من صعوبة التكيف العضوي لمخارج الحروف العربية التي لا توجد في لغتهم[2].

ما نود التركيز عليه هنا اننا أمام حضارة ذات خليط سكاني-ثقافي شديد التنوع- أحيانا أمام انصهار حقيقي تحت الهيمنة الشرقية- على الغالب- للفاتحين المسلمين ويتكون هذا المزيج من القبائل العربية العاربة المستعربة والآرامية(السريان) والبيزنطيين والايبيرايين خاصة والحقيقة ان الغالبية المطلقة(ان لم نقل الكل) من الثقافات العامة التي كانت مبثوثة في البلدان المفتوحة من أواسط اسيا الى مشارق البرنس تحولت الى العربية دون حاجة الى ترجمة منظمة لسبب طبيعي وهو ان شعوب هذه الثقافات تعربت فكان طبيعيا ان تتحول ثقافاتها وان لا تنتظر الى من ينظم لها النقل والترجمة.

واهم هذه الثقافات حينئذ الهندية والفارسية واليونانية وكانت الثقافة الهند تصل الى العرب عندئذ من ثلاث طرق[3]:

طريق الفرس وما سقط اليه منها من قديم وطريق اليمن وجنوب الجزيرة العربية حيث الصلات التجارية الكثيفة وعن طريق من دخلوا منهم حديثا في الإسلام واندمجوا في عرب العراق وسواحل الخليج والجزيرة العربية.

[1] أساس البلاغة، المرجع السابق: 65.

[2] هارون الرشيد القائد، العسلي بسام، دار النفائس، بيروت ط1، 1986: 23-25.

[3] عصر المأمون، أحمد فريد الرفاعي، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، المجلد الأول، مصر، القاهرة،ط1، 1980: 95.

وكان مجلس المأمون ساحة واسعة الجدال والمناظرة والاطلاع على ثقافات الأمم وآدابها ومعارفها، وكان مثقفا ثقافة واسعة عميقة بالعلوم الدينية واللغوية والفلسفية وعلوم الأوائل والشعوب الأخرى، فحول مجالسه في دار الخلافة ببغداد الى ندوات علمية تتناول كل فروع المعرفة وفي ذلك يقول يحي بن أكثم "أمرني المأمون أن أجمع له وجوه الفقهاء وأهل العلم من بغداد، فاخترت له من أعلامهم أربعين رجلا وأحضرتهم وجلس لهم المأمون فسأل عن مسائل وأفاض في فنون الحديث والعلم" كثيرا من هذه المجالس وما طرح فيها موضوعات مختلفة للجدال والمناظرة يصور المسعودي ما عاد على الحركة العلمية هذه الندوات التي عدت كأنها مجمع علمي كبير.

كانت المعرفة والثقافة في كل مكان تقريبا، فأبواب المساجد مفتوحة على مصاريعها لكل الواردين ومثلها دكاكين الوراقين وكان التعلم مجانا من حق الجميع وكان لذلك اثار بعيدة فإن جمهور العلماء والشعراء لهذا العصر كانوا من أبناء العامة ويكفي أن نعرف أن أعلام الشعر حينئذ وهم بشار بن برد، وابو نواس، وابو العتاهية، ومسلم بن الوليد وابو تمام[1].

هذه الثقافات التي ذكرنا من فارسية، هندية، ويونانية وعربية، ومن يهودية ونصرانية وإسلام التقت كلها في العراق في عصرنا الذي نؤرخه، ولكن كل ثقافة في أول أمرها كانت تشق لنفسها جدولا خاصا بها، يمتاز بلونه وطعمه ثم لم تلبث الا قليلا حتى تلاقت، وكون نهرا عظيما تصب فيه جداول مختلفة الألوان والطعوم، مختلفة العناصر والعلماء على اختلاف أنواعهم لم يكونوا يستسيقون ماء النهر الأعظم ولا يذوقون طعمه، فكان منهم من يخرج الى بادية العراق يرد الجدول العربي صافيا، قبل ان تكدره الحضارة يستسقي منه ما شاء ان يستسقي ويعود الى الحضر وقد تزود مما استسقاه من ماء يعيش عليه ولا يشرب الا منه واذا استسقي فلا يسقي الا منه أولئك الأصمعي الذي حفظ الكثير من قصائدهم ونوادرهم ولغتهم، وتخصص لذلك يؤلف فيه ويعلم في المسجد ويحاض، وكحما د الراوية وخلف الأحمر والمفضل الضبي وابي عمرو الشيباني، ومحمد بن سلام الجمحي، فهؤلاء كانوا

[1] تاريخ الخلفاء، المصدر السابق: 322.

لا يعجبهم الا الجدول العربي، يرحلون اليه، ويأخذون منه، وينتقلون في قبائله ويرون شعره ولغته وأدبه، ويقصون فوادره ثم يذهبون الى العراق يعلنون عن مائه ويبشرون بعذوبته وصفائه[1].

ومن الناس من يستقي من جدولين يرد ذلك هذا مرة وذلك مرة حتى اذا علّ وتهل ملأ منها كل انية، وعاد فمزج العنصرين، كالذي فعل أبو عبيد معمر بن المثنى فهو مولى فارسي، اطلع على آداب الفرس وأخبارها وملوكها وحكمائها ومحاسنها ومساوئها وعرف أخبار العرب وقبائلها ولغتها وأقاصيصها وحقائقها وخرافاتها، وروي أيام العرب التي يتناقلها المؤرخون الى اليوم، فكان واسع الاطلاع الأدبيين العربي والفارسي ويقارن بين مفاخر الفرس ومفاخر العرب ويؤلف الكتب في هذا وفي ذاك يؤلف في "فضائل الفرس"[2] ومآثر العرب" فاطلع على الناس بثقافتين وتأدب بأكثر من أدبين كما سيأتي بيانه.

وكانت هناك مجموعة من الثقافات كانت هناك ثقافة العربية بما لها من لغة وادب ودين، والثقافة الفارسية بما لها من نظام وآداب والثقافة اليونانية بما لها من علم وفلسفة.

إن كل ثقافة من هذه الثقافات كان لها "منطقة نفوذ" لا تكاد تزحمها فيها ثقافة الأخرى فالعلوم الرياضية من حساب وجبر وهندسة وفلك وطب وما اليه فلسفة وما اليها كانت منطقة النفوذ اليوناني، تزاحمها فيها الثقافة الهندية ولكن مزاحمة غير عنيفة، فأساس هذه الأشياء كلها عند المسلمين هو الأساس اليوناني، وان كان بعض اركانه هنديا، والمنهج الذي اتبع في هذه العلوم منهج يوناني في منطقة وطريقة تأليفه، وما علق عليه من شروح وكتب هذه العلوم عليها مسحة خاصة، وهي مسحة يونانية بحتة، لأنها تأثرت كل التأثر بما ترجم من اليونان وضلت حافظة لشكلها حتى الف المسلمون فيها، أما الأدب، فلم يتأثر كثيرا بالأدب اليوناني وهذا ظاهر فيما ألف من الكتب في هذا العصر، فمنهجها غريب لا يتصل بسبب من الى المنهج اليوناني، فلا اثر للترتيب المنطقي فيه ولا ترى وحدة للكتاب ولا للباب، كما راينا في كتاب الكامل للمبرد وكما نري في البيان والتبيين للجاحظ، انما هي

[1] العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 2004 :401.

[2] تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي حبيب زيدان، تح: شوقي ضيف، دار الهلال، ط1، 1911 :415 .

جزيئات جمعت حيثما اتفق هي اشبه، يسمر العلماء في المجلس، فأما موضوع واحد يرتب فيه كل ما يراد ان يقال وتسلسل أفكاره وتسلمك ألفه الى يائه بالتدرج كما يفعل العقل اليوناني فذلك ما لا نجده في كتب الأدب العربي، ويقارن العلماء بين اللغات المختلفة والأدب المختلفة[1].

فكان من هذا كله حركة عنيفة، لم تدع نوعا من المذاهب والأديان واللغات والآداب يعيش وحده بل لم تدع جزءا من الأجزاء الا مزجته بأجزاء أخرى حتى صعب على الباحث ان يرد الأشياء الى أصولها، ولم هذه العملية كعملية مزج الزيت بالماء ويعود كل عنصر ملتئما مع نوعه مفارقا ولكنه امتزاج السكر بالماء او نفحات الأزهار بالهواء، تمتزج فتبقى لا تفترق أبدا، وكذلك كانت الثقافات التقت في هذا العصر فكان أول تلاق، وصارت على توالي العصور أشد تلاقي، وصارت على توالي العصور أشد تلاقيا وأكثر امتزاجا.

وكان للإسلام أثر كبير في هذا الامتزاج فإن من أسلم من الأمم الأخرى- وأعني الخاصة- يرى أن لا يكمل دينه ولا يقوي إيمانه الا اذا قرأ القران ودرسه فكان ذلك يدعوه الى تعلم العربية، وتثقف بآدابها ويجمع بين ثقافة القومية وثقافة العربية وفي هذا مزج على الأقل لثقافتين فإن نحن أردنا أن نختار من يمثل هذه الثقافات ممتزجة لا نجد خيرا من الجاحظ وابن قتيبة وابي حنيفة الدينوري، كل واسع الاطلاع، غزير العلم كثير التأليف أكثر الكتب اشتهارا: "البيان والتبيين" و"كتاب الحيوان"، "عيون الاخبار"[2].

ثالثا: أثر الثقافات الأجنبية على الأدب في العصر العباسي

ناقشت الدراسة مفهوم الثقافة وتعريفها وأثر الثقافة الفارسية في المجتمع العباسي على العقائد والسياسة والحياة الاجتماعية والأدب، وتناولت اثار الثقافة اليونانية والهندية والسريانية واليهودية والنصرانية على الثقافة العربية وجوانب تأثيرها على العرب وتناولها طرق اتصال العرب والمسلمين

[1] الكامل في الأدب، المبرد، دار الفكر العربي، القاهرة،ط1، 1956م : 110.

[2] تاريخ الأدب في العصر العباسي، مصطفى السيوطي، دار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر ط1، 2008: 141.

بالثقافات الأخرى، صيفت المشكلة في رأي بعض المفكرين والكتاب في ان الفكر العربي الوافد وما انتجته الحضارة الأوروبية والقول ان الفضيلة عاجزة عن توجيه الحياة، ونبعت أهميتها من بيان أفاده الفكر العربي المسلم من الفكر الوافد وأخذ الصالح ونبذ الطالح اختار الباحث المنهج التحليلي والمنهج المقارن واستخدم الباحث من الأدوات المراجع والملاحظة ومن أهم النتائج: اتصال العرب بالثقافات الوافدة عن طريق الاتصال المباشر والترجمة ونقل الثقافة الفارسية هي أكثر الثقافات تأثيرا على الأدب العربي تليها اليونانية والهندية والنصرانية واليهودية، أسهمت الثقافة اليونانية في تطور العلوم والمعارف العربية وإفادتها في المنطق والفلسفة والعلوم.

كانت مجالات تأثير الثقافة الهندية في: الحكمة والطب والنحو والحساب والرياضيات، وأثبتت الدراسة أن تأثير الثقافة اليهودية والنصرانية كان سلبيا في العصر العباسي الأول[1].

كان من الأهم الأسباب التي أدت الى ازدهار الحركتين العلمية والأدبية في هذا العصر، الاتصال الخصب المثمرين الثقافة العربية الخالصة وثقافات الأمم الأخرى، وما طوي فيها من معارف وعلوم، وكان هذا الاتصال تم عن طريقين، طريق المشافهة مع المستعربين، وطريق النقل والترجمة.

وقد كان الخلفاء العباسيون منذ فاتحة هذا العصر يعنون بالنقل عناية شديدة وينفقون عيه الأموال الطائلة، وكان الخليفة المنصور أول من شجع على الترجمة، حيث نقلت في عهده كتب كثيرة في الفلك والهندسة والحساب والمنطق والطب.

وتنشيط الترجمة في عصر الرشيد ووزرائه البرامكة نشاطا واسعا وقد اذكى جذوتها، حينئذ أنشأ "دار الحكمة" وهي دار عامة للكتب وظف فيها عدد كبير من المترجمين.

[1] تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، إبراهيم علي أبو الخشب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 1969م: 220.

وتبلغ هذه الموجة الجارفة للترجمة قيمتها في عهد المأمون اذ حول "دار الحكمة الى ما يشبه معهدا علميا كبيرا، وأرسل البعوث الى بلاد الروم لجلب أنفس ما في خزائنها من كتب لترجمتها الى العربية.

وقد كان الاتصال الثقافة العربية بتلك الثقافات العربية بتلك الثقافات الأجنبية اثار إيجابية وأخرى سلبية وخاصة فيما يتعلق بالفلسفة والمنطق وبعض النظريات والأفكار التي لا تتفق مع الدين[1].

3. تفشي اللحن في العصر العباسي

في العهد العباسي استفحل اللحن وأصبح قضبة تشعل بال الغيورين على العربية الفصحى ويمكن الوقوف عند هذه المعضلة في هذا العصر من خلال عهدين اثنين:

- **عهد هارون الرشيد (143هـ – 170هـ)** في عهد هارون الرشيد حظي العلماء والأدباء بمكانة متميزة عن باقي الرعية، لذلك عرفت هذه المرحلة نهضة فكرية وأدبية قل نظيرها. كما اقترنت بأسماء كبار علماء الأمة كالأصمعي والفراء والكسائي وأبي عبيدة[2].

وفي هذا العهد كانت لغة الدواوين مثالا يحتذى، ومن ذلك أن هارون الرشيد قال يوما لبنيه "ماضر أحدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه أيسر احدكم ان يكون كلامه او لسانه كلسان عبده او أمته.

وفي هذا العهد تأثرت بحضارة المدن، وقد بدأ ذلك جليا في اختلاف اللغة الأدبية في أوائل العصر العباسي كما ظهر ذلك في شعر بشار بن برد وابي العتاهية وابن الأحنف، إذ نجد اختلافا كبيرا من حيث صوغ القوالب وتركيب الجمل والمادة اللغوية وطرق التعبير عن لغة شعر البادية ولكن

[1] الأنباه والنظائر في النحو ،جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان: 3/ 114.

[2] القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة علي جراح الصباح، ط2، 1978م: 58.

رغم ذلك فإن عربية الدولة فقد احتفظت بالتصرف الإعرابي وبقواعد النحو والصرف احتفاظا من حيث بنائها الحقيقي، وفي مقابل ذلك كانت اللغة الدّارجة المتداولة بين الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن منذ نشوئها في عصر الفتوحات الإسلامية الأولى، تعتبر عربية مولدة في نظر التاريخ اللغوي وقد أحدثت هذه العربية المولدة كثيرا من التغيرات الصوتية، مثل تغير الصاد بالسين (الصراط-السراط)[1].

وبالإضافة الى أن اختلاط العرب بغيرهم كان السبب الأول والرئيس في حدوث اللحن، فإن هناك أسبابا أخرى قد زاد من تأجج فتيل هذه المعضلة، ومن ذلك إقدام كثير من الرواد على وضع الشعر واختلافه مثلما حدث مع بشار بن برد حيث انشد شعرا للأعشى، هو قوله: "وانكرتني وما كان الذي نكرت من حوادث الا الشيب والصلعا" فانكر بشار وقال هذا بيت مصنوع ما يشبه شعر الأعشى، ثم ظهر صدق حدسيه بعد عشر سنين، حيث قال يونس: حدثني أبو عمرو بن العلاء انه صنع عذا البيت وأدخله في شعر الأعشى[2].

ومن ذلك أيضا أن أبا العباس المبرد قد أقدم على وضع بعض الأشعار في موقف خاص، أضطر فيه الى ذلك، فقد حكى البغدادي انه ورد الدينوري زائرا عيسى بن ماهان وعندما .... مجلس العلم وسئل المبرد عن معنى الشاة "المجثمة" لم يكن عنده علم به. فاضطر دفعا للحرج- الا أن يجيب بأنها "الشاة، القليلة اللبن"، ثم أيّد كلامه يرجز وضعه لساعة، وهو قوله:

لَمْ يَبْقَ مِنْ اَلْ الحَمِيد ثَمَّه إِلاَّ عُنَيْزٌ لَجَبَة مُجَثَّمَة

وعندما ما دخل أبو حنيفة الدينوري المجلس، وكشف زنف هذا الرجز اقر المبرد بوضعه، واعتذر لعيسى بقوله: "انَفْت أَنْ أَرِدَّ إِلَيْكَ مِنَ العِرَاقِ، وَذِكْرَى مَا قَدْ شَاعَ، فَأَوَّلُ مَا تَسْأَلُنِي عَنْه لاَ أَعْرِفُهُ.

[1] أخبار النحوين، أبو طاهر عبد الواحد البراز، تح: مجدي فتحي السيد، دار الصحافة للتراث، طنطا، ط1، 1410هـ-1989م: 45-46.

[2] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، تح: ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1405هـ- 1985م: 244-245.

- **عهد المأمون (198هـ-230هـ):**[1]

في عهد المأمون ازدهرت العلوم العربيّة أيما ازدهار، فلقّب هذا العصر بالعصر الذّهبي للأدب العربي. وفي المقابل، تفاقم خطر اللّحن في هذا العهد، وتحديدا مع بداية النّصف الثّاني من القرن الثّاني الهجري. حيث غدت الأخطاء اللّغوية أمرا عاديا مألوفا وممّا ساعد على ذلك وقوعها من ذوي الشّأن كالخلفاء والوزراء والأدباء والعلماء، وقد كان اللّحن من هذه الطّبقة متعارفا مشهورا، وتجاوز أمر التخاطب اليومي إلى إنشاء الإشعار بل إلى قراءة القرآن الكريم، ومن ذلك أن أمير البصرة محمد ابن سليمان غلط يوما فقرأ على المنبر: «إن الله وملائكته يصلّون على النّبي» برفع الملائكة، فاستحى أن يرجع فأرسل إلى النّحويّين فقال: "احتالولي. فقالوا: عطفت (وملائكته) على موضع (الله) وموضعه رفع، فأجازهم ولم تزل قراءته حتّى مات، وكره أن يرجع عنها، فيقال: "إنّ الأمير لحّن ".

و من الولاة الذين اشتهر عنهم اللّحن خالد بن عبد الله القسري، كان يقول: إن كنتم رجبيّون فإنّا رمضانيّون، وقد هجاه بذلك يحي بن نوفل والحجّاج بن يوسف التقفي، وكان يقرأ "إنّا من المجرمين منتقمون" برفع المجرمين، وكان مع لحنه معدودا من الفصحاء.[2]

أمام هذا المشهد المحزن لحال اللّغة العربيّة، لم يجد بعض الغيّورين على هذه اللّغة من الارتحال إلى البادية مكان الصّفاء اللّغوي، كما لم يجد بعضهم الآخر مفرّا من التّشمير على سواعدهم لتنقية هذه اللّغة، فظهر كتاب الكسائي ما تلحّن فيه العامّة نهاية القرن الثّاني الهجري.

- **اللّحن في القرنين الثّالث والرّابع الهجريين.**

1. **القرن الثّالث الهجري:** في القرن الثّالث الهجري اشتدّت وطأة اللّحن على اللّسان العربي، وكان أثره أمرّ وأفظع من ذي قبل. فالعلماء أنفسهم لم يسلموا من اللّحن، فها هو يوسف بن خالد التّيمي يقول لأبي عمر بن عبيد: "ما تقول في دجاجة ذبحت من فقتها؟" فقال عمر: "حسّن من

[1] معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: احسان عباس، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1993: 16-17.

[2] المزهر في علوم اللّغة و أنواعها، جلال الدّين السيوطي، المكتبة العصرية، بيروت، 1406هـ - 1986م: 396.

كلامك. قال: من قفاها؟ فقال عمر: ما عناك بهذا؟ قل: من قفاها واسترح." وبهذا الصّدد أشار الجاحظ إلى ملامح التّعبير اللّغوي في أواخر القرن الثّاني الهجري إلى النّصف الأوّل من القرن الثّالث، ولقد ظهرت هذه الملامح في لغتي العامّة والخاصّة. فأمّا الأولى فلقد كانت تربة خصبة للّحن وكانت تنشر بصفة أكبر في أواسط العبيد والخدم. وهنا يحكي لنا الجاحظ عن غلام له أخطأ في تركيب بعض الجمل حينما قال لآخر: "ويلك إن الأحبّاء كلّهم أقلّ."، وكان يريد أن يقول: "أنت أقلّ النّاس كلّهم حياء."[1]

و أمّا الثّانية، أي اللّغة الخاصّة فلقد طالها اللّحن بفريقيها الاثنين: فريق كان يدخل الكلمات والجمل الفارسيّة في شعره، وفريق سمّوا بأصحاب التّقصير والتّعقيب والتّشديد. وهؤلاء لحنهم أشدّ مرارة، وأوّلهم عيسى بن عمر بن هبيرة في وديعة

فقعدت بعد أن أودعها، فقال: "إن كانت إلاّ أثيابا في أسفاط قبضها عشاروك."[2]

و لقد تصدّى لهذه الظّاهرة في هذا العهد كتاب جهابذة من أمثال بن قتيبة (ت276هـ) الذي ألّف كتاب (عيون الأخبار)، وخصّص فيه بابا كاملا يوضّح فيه الصّواب من اللّحن سمّاه "باب الإعراب واللّحن". وإلى جانب ابن قتيبة، ويعتذر ابن الرّومي (ت283هـ) في قصيدة له عن أخطاء لغويّة صدرت منه في رسالة كتبها إلى صديق له. أمّا العاميّة الدّارجة في هذا العهد، فقد كان وضعها أكثر تأزّما، حيث كان الأتراك أصحاب الكلمة في الخلافة آنذاك.

و من الدّلائل على ذلك أن علماء اللّغة أنفسهم في نهاية القرن الثّالث الهجري لم يكونوا يستعملون اللّغة الفصحى في مساراتهم ومحاوراتهم فيها هو ثعلب (291هـ) لم يجر في دروسه على قواعد الإعراب، حيث كان يدخل المجلس فيقوم له تلاميذه، فيقول لهم: "اقعدوا " بفتح الهمزة كما في

[1] المزهر في علوم اللّغة و أنواعها، المصدر السابق: 11.

[2] الدّراسات اللّغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثّالث، محمد حسين آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الحياة ، بيروت،ط1، 1480: 35.

اللّهجة الدّارجة آنذاك.[1] وفي مقابل هذا المشهد المتأزّم، شهد القرن الثّالث الهجري نهضة لقوية تمثّلت في التّنافس بين علماء المدرستين البصريّة والكوفيّة في قضايا لغويّة خدمت النّحو العربيّ بوجه خاص، واللّغة العربيّة بوجه عام.

2. **اللّحن في القرن الرّابع الهجري**: أصبح اللّحن في القرن الرّابع الهجري جاريا على السّنة اللّغويتين والمتعلّمين، فيها هو أحمد بن فارس الكوفي يسجّل قائلا: وقد كان النّاس قديما يجتنبون اللّحن فيما يكتسبونه أو يقرؤونه اجتنابهم بعض الذنوب والمحارم، أمّا الآن فقد تجوز حتّى أن المتحدّث يتحدّث فيلحّن، والفقيه يؤلّف فيلحّن، فإذا تبعا قائلا: "ما ندري الإعراب وإنّما نحن محدّثون فقهاء"

و معنى ذلك فإنّ اللّحن قد استفحل حتّى على لسان كتّاب الدّواوين ومن الأخبار ما يؤكّد أيضا أن كثرة قضاة مصر في هذا العصر كانوا ينطقون أيضا لفظ (مائة) بفتح الميم ومدّ الألف، وذلك اللّحن فظيع.[2]

كما أنّ العامّة في الأندلس أبدلوا بعض الأصوات اللّينة بأصوات لينّة أخرى أو أصوات ساكنة، فقد كانوا يقولون للموضع الذي ترسو فيه السّفينة (مينة). قال الزبيدي والصواب: "مينا" بالقصر وميناء بالمدّ والقصر فيه أكثر وهو مشتقّ من الونا، وهو الفتور والسّكون. كأنّ السّفن جرت وسكنت هناك فسمّي مكان سكونها مينا، والعرب تبني (مفعلة مفعالا) من الونا، وهو الفتور والسّكون فيقصّر ويمدّ[3].

و صفوة القول أن القرن الرّابع الهجري الذّي عرف بنهاية عصور الاحتجاج قد وصل فيه اللّحن مدّاه، إذ غذا مألوفا على ألسنة العامّة و الخاصّة.

[1] نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، المرجع السابق: 241.

[2] ديوان النابغة الذبياني، كرم الستاني، بيروت، 1338هـ- 1963هـ: 80.

[3] تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان، القاهرة،ط1، 1997م : 1/ 203.

فالعلوم العربيّة قد ازدهرت في هذا العصر العبّاسي خاصّة في عهد هارون الرّشيد، وقد اقترنت بأسماء كبار العلماء في اللّغة فالأصمعي والفراء، والكسائي وأبي عبيدة وقد كان الخليفة ظلاّ ظليلا وسيّد جواد على الشّعراء والعلماء والأدباء، وكانت لغة الدّواوين في القدوة المثلى.[1] فقد قال الرّشيد يوما لبنيه: ما ضرّ أحدكم لو تعلّم من العربيّة ما يصلح به لسانه أيسر أحدكم أن يكون كلامه أو لسانه كلمتان عبده وأمّته.

و حكي أنّ الفراء مع جلالة قدره وعلوّ رتبته في النّحو، دخل يوما على الرّشيد، فتكلّم بكلام لحن فيه فقال جعفر بن يحي: يا أمير المؤمنين إنّه قد لحّن. فقال الرّشيد للفراء: أتلحّن يا يحي؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ طباع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضر اللّحن، فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن وإذا رجعت إلى الطّبع لحّنت. فاستحسن الرّشيد كلامه، ونقل الرّواة الكوفيّون أن الذّي حمل الكسائي أيضا على تعلّم النّحو هو تعبيره باللّحن، إذ قال: "قد (قد عيت) يعني تعبت" فقالوا له: "تجالسنا وأنت تلحّن." فقال: "كيف لحّنت؟" فقالوا له: إن كنت أردت من التّعب فقل: أعيت، إن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحيّر في الأمر فقل: "عييت مخفّفة" ففي هذا العصر أي العصر العبّاسي نهضت الحياة الثّقافية في مختلف نواحيها تجلّى ذلك في الشّعر، وعلوم اللّغة، والدّين، والكلام. نهضة تسوغ تسمية هذه المرحلة بالعصر الذّهبي للأدب العربي.[2]

- **رأيي الخاص:**

مرّت الخلافة بالكثير من الأحداث التي لها أثرها في التّاريخ الإسلامي، منذ بداية تولّي آل العبّاس الخلافة ومطالبة الطّالبين بحقّهم بالخلافة مرورا بالتّخلّص من أبو مسلم (الخرساني). وانفصال بعض الدّول عن دولة الخلافة والكثير من الأحداث السّامية التّي حدثت على مدار العصور العبّاسية الثّلاثة إلى أن سقطت دولة الخلافة العبّاسية على يد المغول.

[1] صبح الأعشى، أبو العباس القلقشدي، دار الكتب المصرية، القاهرة،ط1، 1330هـ 1922م : 1/ 168.

[2] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، المرجع السابق:59.

مما نتج امتزاج الثّقافات من بينها: الفارسية، والهندية، واليونانية، والعربية كان لها تأثير على العرب. واستخرجنا بثقافات أخرى ممّا جعل الأدب العربي، واللّحن يزدهر في هذا العصر. وكان الاتّصال الثّقافي له آثارا إيجابيّة وأخرى سلبيّة.

وفي الأخير نستنتج أنّ تفشّي اللّحن في هذا العصر، كان قضيّة بارزة ممّا أدّى إلى ظهوره وانتشاره عوامل عدّة منها التّعصّب الفرقي، والنّزعة الشّيوعيّة، والصّراعات. ممّا أدّى إلى توسّع الرّقعة السّالمية، وكثرة المعاجم.

الفصل الثاني: تفشّي اللحن في العصر العباسي

1- تعريف اللّحن .

2- بداية ظهوره (ذكر البيئات) بدوية أو حضارية وأسبابه

3- آثاره على لسان العرب وطرق معالجته

1- مفهوم اللّحن :

وردت كلمةُ اللّحن فِي اللّغَةِ العربِيَة على عدّةِ مَعَانٍ، جَمَعَهَا ابنُ بَرِي فِي قَوْلِهِ " اللّحن سِتَّةُ مَعَانٍ ": الخطأ فِي الإعرَابِ واللّغة والغِنَاء، والفِطنَة والتّعرِيض، والمعنى".[1]

أولًا: الخطأُ في الإعْرَابِ

وأقدَمُ نصّ وردت فيه كلمة " اللّحن " بمعنى الخطأ في الكلام، ينسب إلى " عبد الملك بن مروان " أحد خلفاءِ الدّولة الأمويّةِ، فقد رُوِيَ عنه أنّه قَالَ: " الإعرابُ جَمالٌ للوضعِ واللّحن هُجنةٌ على الشّرِيفِ" [2]، وأقدَمُ شِعرٍ وردت فيه كلمة (اللّحن) بمعنى الخطأ في الكلام، بيت مالك، بن أسماء، بن خارجة الفزاري:

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وتَلْحَنُ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الكَلَامِ مَا كَانَ لَحْنًا [3]

وكذلك قولُ ابن عَبْدَل:

لَيْتَ الأمِيرَ أَطَاعَنِي فَشَفَيْتُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ يَكْفِي القَصِيدَ ويَلْحَنُ[4]

---

[1] لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، (د . ط)، (د . ت)، مج 13، ص 381 . مادة (لحن)، ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ / 1989م: 239/5 .

[2] العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربّه، تح: محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د . ط)، (د . ت): 308/2 .

[3] المصدر نفسه، 309/2 . وينظر: أساس البلاغة، أبي القاسم جار الله الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1419هـ / 1998م: 163/2 .

[4] الحيوان: أبو عثمان الجاحظ، تح: محمد عبد السلام هارون، (ط 2)، 1384هـ / 1965م: 249/2 .

ثانيًا: اللّحن بِمعنى اللّغة

كقولِ عُمرَ رضي الله عنه: « تَعَلّمُوا الفَرَائِضَ واللّحن والسّنّةَ كَمَا تعلّمُونَ القرآنَ » .[1]

ومنَ الشَّواهِدِ الشّعريّة على استخدام كلمة (اللّحن) بمعنى اللّغة قولُ ذِي الرّمَّةِ:

مِنَ الطّنَابِيرِ يَزْهَى صَوْتُهُ ثَمِلٌ فِي لَحْنِهِ عَنْ لُغَاتِ العُرْبِ تَعْجِيمُ [2]

وقولُ عمر رضي الله عنه كذلك: « أَبَيٌّ أَقْرَؤُنَا وإنّا نَرْغَبُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ لَحْنِهِ » أي: مِن لغتِهِ.[3]

ثالثًا: يأتي بمعنى الفِطنة والفهم

اللّحن بِفَتحِ اللّامِ والحاءِ الفطنة، والفاعلُ لحن، ويتعدّى بالهمزة فيُقال: ألحَنْتُهُ شيئًا فلحن: فطنته ففَطَنَ وهو سرعةُ الفهْمِ [4]، ومن أمثِلتهِ، قوله صلى الله عليه وسلم أنّه قال: « إِنّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بَحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ بِنَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ » .[5]

---

[1] السّنن الكبرى: أبو بكر البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 3)، 1424هـ / 2002م، 344/6، كتاب الفرائض باب البحث على تعليم الفرائض، وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تح: محمود محمد الطناحي، الناشر المكتبة الإسلامية، (د . ت) و(د . ط): 241/4 .

[2] ديوان ذي الرّمّة، شرحه الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الساهلي، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، جدّة، (ط 1)، 1402هـ / 1982م: 418 .

[3] لسان العرب لابن منظور السابق، مج 13: 381 . مادة " لحن " .

[4] المصباح المنير: أحمد بن علي الفيومي، تح: عبد العظيم الشناوي، (ط 2)، دار المعارف، القاهرة، 551/2، واللسان مج 13: 380 .

[5] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، 241/4، وصحيح البخاري، دار طوق النجاة، المطبعة الأميرية، ، بولاق، مصر، 1311هـ، 25/9، كتاب الحيل، وانظر: صحيح مسلم، تح: نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، 1427هـ / 2006م، كتاب الاقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، مج 2: 818 – 819 .

ومن الشَّواهدِ الشّعرية، قولُ لَبِيد:

مُتَعَوّدٌ لَحِنٌ يُعِيدُ بَكَفّهِ قَلَمًا عَلَى عُسُبٍ، ذَبَلْنَ وبَانِ [1]

وقال ابن أحمد الباهلي يصِفُ صحيفةً كتبهَا :

وَتَعْرِفُ فِي عُنْوَانِهَا بَعْضَ لَحْنِهَا وَفِي جَوْفِهَا صَمْعَاءُ تَحْكِي النّواصِيَا [2]

رابعًا: التعرِيضُ والإيمَاءُ

ومن قولِ القتال الكلابي :

وَلَقَدْ لَحَّنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْهَمُوا وَوَحَيْتُ وَحْيًا لَيْسَ بِالمُرْتَابِ [3]

ويبدُو أنّ اللّحن بمعنى التّعريض والإيماء من أقدم معانِي الكلمة، يقول ابن دريد: " وأصلُ اللّحن أن تُرِيدَ الشّيءَ فَتُورِيَ عنهُ بقولٍ آخر" .[4]

ومن الحديث: " أنّه بَعَثَ رَجُلَيْنِ إلى بعضِ الثُغورِ عَينًا، فقالَ لهُمَا: إذا انصَرَفتُمَا فَالْحَنَا لِي لحْنًا " أي أشِيرا إليَّ ولا تفْصَحَا، وعرِّضَا بِمَا رأيْتُمَا "[5]، وأصلُهُ أن نريدَ الشيءَ وتورِّيَ عنهُ بآخر من باب التّعْرِيضِ، وبَوَّبَ الإمام البخاري بابًا خاص بالمعارِيضِ مندوحَةً عن الكذِبِ، ثمّ أورَدَ حديثًا في هذا

[1] كتاب الاضداد، الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيمي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1407هـ / 1987م، ص 240، وينظر اللسان، مج 13: 380، مادة (لحن) .

[2] المصدر نفسه: 240، وينظر: اللسان، مج 13، مادة " لحن " .

[3] تفسير البحر المحيط: أبو الحيان الأندلسي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (ط 1)، 101/8 .

[4] كتاب الملاحن: ابن دريد، تح: عبد الإله نبهان، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1992م: 65 .

[5] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير السابق، 241/4، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1427هـ / 2006م: 75/17 .

البابِ، قال: إسحاقُ سمعْتُ أنسًا ماتَ ابن لأبي طلحَةَ، فقال كيْفَ الغُلامُ، قالت أمّ سلِيم هَدَّأَ نفسه أرجُو أن يكونَ قد استَرَاحَ وظنَّ أنّها صادِقَة" .[1]

خامسًا: المعنى والفحوى

وشاهده قولُهُ تعالى: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ ﴾ سورة محمد، الآية 30 .

أي: معناهُ وفحواهُ، وقولُ عمر رضي الله عنه: " تعلّمُوا اللّحن، يرِيد اللّغة" .[2]

وقال الزّمخشري: " فِي نحوِهِ وأسلُوبِهِ، وعن ابن عبّاس هو قولهم: " مَا لَنَا إِنْ أَطَعْنَا مِنَ الثّوَابِ ؟ ولا يقُولونَ: مَا عَلَيْنَا إِنْ عَصَيْنَا مِنَ العِقَابِ" .[3]

سادسًا: هنا يأتِي بمعنى الغِناء وترجِيحِ الصوتِ والتّطرِيبِ [4]، وهو إزالة الكلام عن وِجهَتْهُ الصّحيحة بالزّيادة والنّقصان في الترنُّم، والشّاهِدُ على ذلك قول الشّاعر ابن مخرَمةَ السّعدِي:

وَمَا تُغَنِّينَ بِسجْوٍ بَعْدَمَا سَجَعْت وَرَقَّ الحَمَامُ بِتَرْجِيعٍ وَإِرْنَانِ [5]

بَاتَا عَلَى غُصْنٍ بَانٍ فِي ذرةٍ فَنَنٍ يُرَدِّدَانِ لُحُونًا ذَاتَ أَلْوَانِ

وقولٌ آخرَ ليزيد بن النعمان :

لَقَدْ تَرَكْتَ فُؤَادَكَ مُسْتَجِنًّا مُطَوَّقَةٌ عَلَى غُصْنٍ تَغَنَّى

---

[1] صحيح البخاري، 47/8، باب (المعاريض مندوحة عن الكذب)

[2] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، المرجع السابق: 241، وينظر: لسان العرب، مج 13: 381، مادة (اللحن)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 284/9 .

[3] الكشاف، جار الله الزمخشري، تح: الشيخ عادل محمد عبد الوجود، والشيخ علي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، (ط 1)، 1418هـ/ 1984م: 528 .

[4] لسان العرب، ابن منظور السابق، مج 13: 381، مادة " اللحن " .

[5] تاريخ مدينة دمشق: عبد الملك بن أحمد، عبيد الله بن العباس لابن عساكر، تح: عمر بن غرامة العموري، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1416هـ/ 1996م: 441 .

يَمِيـلُ بِهَـا وَتَرْكَبُـهُ بِلَحْـنٍ إِذَا مَـا غَـنَّ لِلْمَحْزُونِ أَنَّا [1]

ويرى أحمد بن فارس (ت 395) أنّ: " اللّحن بمعناه الأوّل من الكلام المولّد لأنّه محدث لم يكُن في العرب العاربة الذين تكلّموا بطباعهم السّليمةِ " .[2]

ويرى أيضًا أنّ اللّام والحاءَ والنّون: لهما بناءانِ يدلّ أحدهما على إمالةِ الشّيء عن جِهته، ويدلّ الآخر على الفطنةِ والذّكاء، ومِن هذا الباب قولهم: هو طيّبُ اللّحن، وهو يقرأ بالألحانِ، وذلك أنّه إذا قرأَ كذلك أزالَ الشّيءَ عن جهتهِ الصّحيحة بالزّيادةِ والنّقصَانِ في تَرَنُّمِهِ، ومن أيضًا اللّحن: فحْوَى الكلام ومعناه، لقولِه تعالى: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ ﴾ سورة محمد، الآية 30 .

وهذا الكلامُ المورَّى به المزالُ عن جهة الاستقامة والظّهور، والآخر: اللّحن، وهو الفِطنة، يقال: لَحِنَ بِلَحْنٍ لَحْنًا وهو لَحِنَ وَلَاحِنٌ، وفي الحديث: من قوله صلّى الله عليه وسلّم وهو يحثُّ المؤمنين على الصّدقِ والحقّ إذا تقاضَوْا إليه: « أنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، وَإِنَكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ يَكُونُ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ بِشَيءٍ مِنَ حقّ أخِيهِ، فَلَا يَأْخُذُ مِنهُ شَيْئًا وَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ نارٍ».[3]

وذكرَ أيضًا " يوهان فك ": أنّ المدلول الأصلي للّفظ (لحن) وهو (مال)، ولذلك تدلّ مشتقّاتُ هذه المادّة على معانٍ كثيرة تتميّز بالإشارة إلى الميْل والتّحوّل عن المألوفة دون أن يعني ذلك بالضّرورة أنّ حال المألوفةِ هي الصّواب، وأنّ الميلَ عنها يؤدّي إلى الخطأ أو يعني ذلك أنّ المقصود هو التّحوّل إلى الصّواب .[4]

[1] لسان العرب لابن منظور، المرجع السابق، مج 13: 381 .

[2] مقاييس اللغة، ابن فارس السابق: 239/5 .

[3] المرجع نفسه: 240/5 .

[4] العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب: " يوهان فك "، تر: رمضان التواب، مكتبة الخانجي، مصر، (د . ط)، 1400هـ / 1980م: 243، 244 .

في مختار الصّحاح: اللّحن: الخطأ في الإعراب وبابُهُ قطع، ويقال فلانٌ (لحّان) (ولحّانَةٌ)، والتّلحِينُ التّخطِئَة، و(اللّحن) أيضا واحد " الألحان " و" اللّحُونُ "، ومن الحديث: « اقْرَأُوا القرآنَ بَلُحُونِ العَرَبِ »، وهو ألحَنُ النّاس إذا أحسنتهم قراءَةً و(اللّحن) بفتحِ الحاء الفِطنَة .[1]

وقد عرّفه أيضًا محمد العيد بأنّه: " خروجُ الكلامِ الفصيح عن مجرّد الصّحة في بنية الكلام أو تركيبه أو إعرابه بفعل الاستعمال الذي يَشيعُ أوّلًا بين العامّة من النّاس ويتسرّب بعد ذلك إلى لغة خاصّة"[2]. وقد قرّر أنّ أعظم معاني اللّحن شهرة وكثرة واهتمامًا عند علماء اللّغة الخطأ في الإعراب .[3]

وقد ذكر محمّد ياقوت أنّ اللّحن في اللّغة له مظاهر كثيرة أوّلها الخطأ في الإعراب بوصفه أوّل مظهرٍ من مظاهر اللّحن في نشأته الأولى، وبيّن عبد العزيز مطر أنّ اللّحن الذي يرِدُ في كتابته (لحنُ العامّة في ضوءِ الدّراساتِ اللّغوية الحديثة)، هو الخطأُ في اللّغة أصواتها أو نَحوُها أو صرفها أو معاني مفرداتها .[4]

وإلى مثلِ ذلك ذهب رمضان عبد التوّاب حين قال: " وهذا هو ما كانَ يعنِيهِ كلّ من ألّفَ في لحنِ العامّة من القُدامى والمحدثِين ويظهرُ ذلك بوضوح من الأمثلة التي عالجُوهَا في كتُبهِمْ "[5]، ثمّ بيّنَ أنّ اللّحن بمعنى الخطأ في الإعراب، كان يقصد به في الظّاهر مخالفة الفُصحى في الأصوات أو في الصّيَغِ أو في تركيب الجملة وحركات الإعراب أو في دلالة الألفاظ، وإن ظفَرت حركاتُ الإعراب باهتمام السابِقِين من اللّغَوِيِّنَ والنّحوِيينَ [6] . ويرى رشيد العَبِيدي أنّ اللّحن أصبح يُطلَق منذ عهد

[1] مختار الصّحاح: أبو بكر الرّازي، مكتبة لبنان، بيروت، (د . ط)، 1989م: 523، مادة " لحن " .
[2] المظاهر الطارئة على الفصحى: محمد عبيد، عالم الكتب، القاهرة، (د . ط)، 1980م: 12.
[3] المرجع نفسه، المظاهر الطارئة على الفصحى: 6 – 14 .
[4] لحن القامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، (ط 2)، 1981م: 71 .
[5] لحن القامة والتطور اللغوي: رمضان عبد التوّاب، دار المعارف، (ط 1)، 1967م، (ط 3)، 2000م، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة: 13 .
[6] المرجع نفسه : 13 .

مبكّر على كلّ خطأ إعرابِي يقع عن قصدٍ وغير قصد، وقال أنّ اللّحن يبدو أنّه كان مقرونًا في البدء بأداء الآي القرآني، وبضبط إعرابه .[1]

وللعلم فاللّحن عند علماء القراءة قسمانِ: " جَلِي وخَفِي "، فالجَلِيُّ: خطأٌ يعرض للفظ ويُحل بالمعنى والعُرف كتفسير كل واحد من المرفوعِ والمنصوبِ والمجرورِ والمجزوم، أو تفسير المعنى كما قسم له من حركةٍ أو سُكون، والخفِيُ: خطأٌ يعرض للفظ ولا يحلّ بالمعنى بل بالعُرفِ كتكرير الرّاءاتِ وتطنينُ النُّونَات .[2]

فهذه المعاني التي وردت لمادة اللّحن في المعاجمِ وكتب اللّغة، والذي يهمّنا هو اللّحن بمعنى الخطأ في اللّغة وأصواتها وصرفها ومعانيها، وهذا المعنى عندما تنبّه له العرب بعد اختلاطهم لأعاجِمَ، فطنوا إلى الفرقِ بين التعبير الصحيح والتعبير الملحون [3]، كما يعترِي اللّفظ ممّا يفسّر هيئته أو معناه، نوع خاص من اللّحن يعرَفُ بـ: "التصحيفُ والتحريفُ"، ويكثر الاهتمام بهما خاصة في علوم مصطلح الحديث، وقد أفردت مصنفات في التصحيف والتحريف منها: التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن الحسن الأصبهاني (282هـ – 360هـ)، ولأبي أحمد الحسن العسكري (293هـ – 382هـ) كتابان: (شرح ما يقع فيه التصحيفُ والتحريف)، و(تصحيفاتُ المحدثين) .

التصحيف والتحريف:

أ– التصحيف: "أن يقرأَ الشيء بخلافِ ما أراد كاتبه، وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته"[4]، وأصل اشتقاقه من الصحيفة، وسبب ذلك أنّ قوما كانوا أخذوا العلم عن الصّحف من

[1] عيوب اللسان واللهجات المذمومة: رشيد العبيدي، مجلة العلمي العراقي، م 36، ج 3، 1406هـ / 1985م: 286 .

[2] الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب الكفوي، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة، (ط 1)، (د . ت):779 .

[3] ينظر: العربية الدراسات في اللغة واللهجات والأساليب: يوهان فك السابق، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، (د . ط)، 1980م: 245 .

[4] التنبيه على حدوث التصحيف: حمزة بن حسن الأصفهاني، تح: محمد أسعد طلس، دار صادر بيروت، لبنان، دمشق، (ط 1)، 1388هـ / 1968م: 26 .

غير أن يُلقوا فيه العلماء، فكان يقع فيما يروونَه التغيير، فيقال عندها قد صحّفوا، أي قد روَوْهُ عن الصّحف، فهو مصحّفٌ ومصدره التصحيف .[1]

لغة: هو من صحَّفَ، يُصَحِّفُ، تَصْحِيفًا، يطلق على من أخذ العلم من الصّحُفِ دون شيخ فأخطأ في الصّواب كمن قرأ: " الحبّة السوداءَ " بقوله " الحيّة السوداء "، ومنه المصحّف والصَّحفِي: الذي يروي الخطأ عن قراءة الصُّحف بأشباه الحروف موّلدَة، والتصحيف الخطأ في الصحيفة .[2]

وذكر السيّوطي أنّ أصل التصحيف، أن يأخذ الرجل اللّفظَ من قراءته في صحيفة، ولم يكنْ سمعُه من الرجال فيغيّرُه عن الصوابِ .[3]

فهو مصطلح تهكّمِي بأنّ صاحبه أخذ عِلْمَه عن الصّحف والأوراق ولم يجلس إلى الشيوخِ ويأخذ العلم من أفواه الرجال كما يُقال، ويفهم المصطلحاتِ التي هي مفاتيحُ العِلم والفهم، وجاء في الإفصاح: " المصَحَّفُ الذي يروِي الخطأ على قراءة الصحف باشتباهِ الحروف " [4] فهو مصطلح يتداخل مع اللّحن من حيث الخطأ وعدم الصواب في كل غير أنّ اللّحن أعمّ منه، وفي علم البديع التصحِيفُ: الإتيَانُ بِلفظَتيْنِ متّفِقتينِ في صورة الأحرُفِ مختلفتين في التنقيطِ، نحو: "المغتر" و"المعتز"، و"يَفِي" و"يقِي" .[5]

ولقد حذّر العلماء السّلف من الأخذ عن الصّحف وأهلها، فقال سعيد بن عبد العزيز التّنوخي أحد الثقات الأثبات، وقد سوّاه الإمام بالأوزاعي، وقدمه غيره عليه قال: " لَا تَجْمَعُوا العِلْمَ عَنْ صَحَفِيٍّ، ولَا تَأْخُذُوا القُرآنَ عَن مصْحَفِيٍّ " .[6]

---

[1] تصحيفات المحدثين: العسكري، تح: محمد أحمد ميرة، (ط 1)، 1402هـ / 1982م: 24/1 .

[2] لسان العرب، المرجع السابق: 206/5 – 207 .

[3] المزهر في علوم اللغة، المرجع السابق : 353/2 .

[4] الإفصاح في فقه اللغة، المرجع السابق: 103 .

[5] المعجم المفصّل في علوم اللغة، المرجع السابق : 177/1 .

[6] المزهر في علوم اللغة، المرجع السابق : 24/2 .

وبهذا التعريف يكون التصحيف مصطلحا بلاغيًا وفنًا من فنون البديع وتزيين اللفظ وإن كان عند الاطلاق لا يصرّف لهذا المعنى البلاغي بل يصرف للتصحيف المشهور الذي هو قراءة القارئ على خلافِ ما أرادَ الكاتِب، ذكر الشيخ محمد بلكبير رحمه الله في مقابلة تلفزيونية معه أنّه: " من أخذَ النّحوَ منَ الكُتب لحّن في الكلامِ، ومن أخَذَ الفِقهَ من الكتب غيّر في الأحكامِ، ومَن أخذ العقِيدَةَ مِن الكتُبِ مرقَ من الإسلامِ، ومن أخذ الطبّ من الكتب قتل الأنام "، وإنما العلمُ بالتعلّم، أي علمنا: فلان عن فلان، وقراءة الكتب توسع ذلك وتنمّيه .

التحريف: ومعناه: تغيير اللفظ دون المعنى[1]: قال ابن حجر: " أنّ المخالفة في الحديث إن كانت بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخط في السياق، فإن كان ذلك بالنسبة إلى النّقط فالمصحَّف، وإن كان بالنسبة إلى الشكلِ فالمحرّف " .[2]

ومعنى آخر: فهو تحريف الكلام عن موضِعه قصدًا أو جهلًا، ويتداخل مع التصحيف في حالِ الجهل، وقد يكون عن عمد كما قال الله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾سورة النساء، الآية 46 .

وهذا حدث عن قصدٍ منهم وبُهتانٍ، لا عن خطأٍ ونسيان، فالتحريف ميل بالمعنى كاللّحن .

الغَلط: جاء في لسان العرب أنّ الغلط أن تعيَا بالشيء فلا تعرِفُ وجه الصواب فيه، وقد ذكر الليث " ت 175هـ " أنّ ذلك يكون من غير تعمّد .[3] وقال أيضا أبو هلال العسكري: " أنّ الغلط هو وضع الشيء في غير موضعه "[4]، ولذلك يجوز أن يكون الغلط صوابًا في نفسه، في حين أنّ الخطأ

[1] معجم التعريفات: الجرجاني، تح: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضلة، (د . ت):48 .

[2] نزهر النظر، شرح نخبة الفكر، ابن حجر العسقلاني، تح: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، (ط 1)، 1422هـ / 2001م: 118 – 119 .

[3] ينظر: لسان العرب لابن منظور، المرجع السابق ، مادة " غلط ": 363/7 .

[4] الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم تسليم، دار العلم والثقافة، القاهرة: 55 .

الخطأ لا يكون صوابًا على وجه ... فالخطأ ما كان الصواب خلافُهُ ... بل هو وضع الشيء في غير موضعه.

الزلّة: قال الرّاغب: " الزلّة في الأصلِ: استرسالُ الرِّجْل من غير قصد، يقال زلّت رِجْلٌ تزلُّ: المكان الزّلِقْ[1]، وقد عرّف إبراهيم أنيس الزلّة بأنها انحراف العربي عن طرق أداء سليقته اللغوية، وبيّن أنّ صاحب تلك السليقة إذا زلّ لسانه فإنّه يحسّ بذلك الانحراف، ويشعر بخطئه فيصلحه مباشرة، في حين أنّ غيره ممّن لم يتقن اللغة ولم يصل فيها إلى مرحلة السليقة اللغوية. يجوز عليه الخطأ، وإذا أخطأ أو لحّن لا يكاد يشعر في غالب الأحيان بذلك .[2]

اللّحن اصطلاحا:

يرجع مفهوم اللّحن إلى المعنى العام الذي سبقت الإشارة إليه، وهو إمالة الشيء عن وجهته ويبقى اللّحن بمعنى الخطأ هو الأنسب اصطلاحاً لهذا اللفظ، ومن الشواهد على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أنَا من قريش ونشأت في بني سَعد فأنّى يأتيني اللّحن).[3] ولقد اشتهر هذا الحديث بهذا اللفظ حتى أصبح يذكر في كتب اللغة كـ " المزهر في علوم اللغة وأنواعها".[4]

و هكذا فاللّحن اصطلاحاً يعني خروج الكلام الفصيح عن مجرى الصحة في بنية الكلمة أو تركيبها أو إعرابها بفعل الاستعمال الذي يشيع أولا بين العامة من الناس ويتسرب بعد ذلك إلى لغة الخاصة.

[1] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، 1430هـ / 2009م: 381 .

[2] محاضرات عن المستقبل اللغة العربية: إبراهيم أنيس، معهد الدراسات العربية العالمية، 1960م: 14 .

[3] ديوان: طرفة بن العبد، بيروت، دار الصادر، (ب،ت)، (ب،ط).

[4] ديوان النابغة: الذبياني، شرح وتحقيق كرم البستاني،ديوان النابغة، بيروت، دار الصادر، دون تاريخ.

فاللّحن كما تبيّن ممّا سبق صرفٌ للكلام عن حالته السّليمة، وقد يكون ذلك الصّرف بتغيير إعرابه، أو شكله الحرف أو هيئته، أو يتغير مخرجه أو صفته، ولهذا عدّ علماء القراءة بغير تجويد لحناً،[1] واللّحن كما قال ابن فارس: " لم يكن في العرب العاربة الذي تكلموا بطباعهم السليمة". فاللّحن بهذه الصّفة دخيل على اللّغة الفصحى.

يعد اللّحن عيبا لسانيا يقوم على تحريف الكلام عن قواعد الصرف والنحو كما يقوم على مخالفة النطق الفصيح واللفظ السليم[2]، هذا تعريف يحصر اللّحن في معناه الإنحراف والميل عن الصواب إلى الخطأ في النطق والكتابة وعدم الإلتزام بقواعد الصرف والنحو، وإن غلب إطلاقه على الأخطاء الإعرابية أكثر من الأخطاء الصرفية واللغوية.

[1] الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تج: العلامة شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة (ط1)، 1429هـ، 2008م : 213.

[2] المعجم المفصل في علوم اللغة (اللسانيات): محمد الفنوجي وراجي الأسمر تح: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت (ط1)، سنة 2001 م، 497/1.

بداية ظهور اللّحن (ذكر البيئات بدوية أو حضارية)

1) **تفشي اللّحن وأسبابه:** اختلف الدارسون والباحثون في ظهور اللّحن، فذهب بعضهم إلى أنّ بدايات اللّحن الأولى كانت في العصر الجاهلي، وذهب آخرون إلى أنه ظهر في عصر صدر الإسلام والفتوحات الإسلامية، وهنا لابد من وقفة تتبع اللّحن وتطوره عبر العصور:

- **اللّحن في العصر الجاهلي:**

لقد ذهب أكثر الدارسين إلى أنه لا لحن في الجاهلية، لأنهم يعدونه مما ينافي الفصاحة ويعملون على توجيه هذا اللّحن، فيسمونه لغة شاذة أو نادرة، ولا شك أن أمثال هذا قد ظهر كثيراً في لغات القبائل التي تسكن في أطراف الجزيرة العربية[1]، ومن جانب آخر يرى المرحوم كمال ابراهيم أن كلمة اللّحن في العصر الجاهلي، وتسمى **الزيغ اللساني لحنا.**[2] وقد استعملت هذه الكلمة ووردت في قول لبيد"

مُتعوّد لحن يُعيدُ بكَفيه *** قلّما على عُسب ذَبُلنَ وبَانَ.[3]

و الذي قال يوجد اللّحن في العصر الجاهلي بما ورد قول النابغة:

فبت كأنّي ساوربي ضئيلة *** من الرقش في أنيابها السُمّ الناقِع.[4]

قال الزبيدي: "ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وما في جاهليتها. حتى أظهر الله الإسلام على ستائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا إليه أرسالاً واجتمعت المتفرقة،

[1] الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث: محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (ط1)، 1400 هـ-1980 م:34.

[2] المرجع نفسه:35.

[3] نزهة الألباء في طبقة الأدباء ، المرجع السابق: 241

[4] ينظر ديوان النابغة الذبياني السابق تح: كرم البستاني، دار صادر :80، بيروت، 1338 هـ: 196

واللغات المختلفة، ففشي الفساد في اللغة العربية [1]، فيكاد يجمع القدامى على أنه لا لحن في الجاهلية، ويحددون ظهور اللّحن، في حدود ظهور الإسلام أو بعده بقليل.

و ذهب هذا المذهب مصطفى الرافعي، حيث أنه يعتبر اللّحن ظهر بعد ظهور الإسلام، ولا لحن في الجاهلية[2]. وهو من العلماء المحدثين، وفي تعليقه على حديث الرجل الذي لحن بحضرة الرسول عليه الصلاة والسلام: (أرشدوا أخاكم فقد ضلَّ)[3]، يقول الرافعي: فلو كان اللّحن معروفا في العرب قبل ذلك العلم، مستقر الأسباب التي يكون عنها، لجادت عبارة الحديث على غير هذا الوجه، لأنّ الضلال خطأ كبير، والرشاد صواب أكبر منه في معنى التضاد، بل إنّ عبارة الحديث تكاد تنطق بأن ذلك اللّحن كان أول لحن أفصح العرب صلّى الله عليه وسلم.[4]

اللّحن في صدر الإسلام:

ظهور بوادر اللّحن في بلاد الحجاز في العام الأول، فظهرت طائفة من الموالي والعبيد لا ينتسبون إلى أصل عربي، وتعلموا اللغة العربية محاكاة وتقليداً، فكانت اللكنات الأعجمية تسيطر على هذه الألسن، قال السّيوطي: " واعلم أنّ أوّل ما اختل من كلام العرب، وأحوج إلى التعلم والإعراب، لأن اللّحن ظهر في كلام الموالي والمعتز بين من علمه النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقد روينا أن رجلاً لحن بحضرته صلى الله عليه وسلم، فقال: (أرشدوا أخاكم فقد ضلَّ)[5]، وجاء في البيان والتبيين: "

[1] ديوان النابغة، المصدر السابق: 11.

[2] تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان، 1997 م: 203.

[3] رواه الحاكم في المشترك، تح: مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 2)، (2002م)، 477/1، كتاب البيوع رقم الحديث 3643

[4] تاريخ آداب العرب، المرجع السابق : 203/1.

[5] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي السابق المكتبة العصرية، صيدا بيروت 1406 هـ 1986 م: 396/2، وينظر: فتح المغيث، لأبو عبد الله الأفراني الصغير، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان (ط1) (1424 هـ - 2003م): 34.

قالوا أن أول لحن سمع في البادية: هذه عامتي، وأوّل لحن سمع في العراق "حيّ على الفلاح" [1] بكسر الياء بدل فتحها.

ولما اتّسعت رقعة الفتوحات الإسلامية في علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفتحت الدولتان فارس والروم، امتد السيل على بناء اللغة العربية، فأحدث فيها شرخا فغشى اللّحن ونمى، فمن أمثلة ذلك أن عمر مرّ على قوم يسيئون الرمي، فقرعهم فقالوا: " إنّا قوم متعلمين، فأعرض غاضبًا. وقال، "والله لخطأكم في لسانكم أشد من خطأكم في رميكم"[2] ،و قال أبو بكر رضي الله عنه: " لأن أقرأ فأسقط أحب إليّ من أن أقرأ فألحن[3]. وقال أبو الأسود الدؤلي: " دخلت على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فرأيته مطرقا مفكرًا، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ فقال: سمعت ببلدكم لحنا، فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية، فقلت له: إن فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة العربية"[4].

اللّحن في العصر الأموي:

لقد شاع اللّحن في هذا العصر، وقوي حتى انتقل بين العامة إلى الخاصة، وذلك لإتّساع الدولة الإسلامية، واختلاط العرب بالأعاجم، فتصدى لهذه الظاهرة البلغاء من الخلفاء والأمراء، فهذا عبد الملك بن مروان عندما قيل له: "أسرع إليك الشيب" قال: "شيبني كثرة ارتقاء المنبر، مخالفة اللّحن"[5].

و كان الحجاج يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة، مثال ذلك روايته مع يحي بن يعمر، والذي كان يعجب الحجاج لفصاحته، فسأله يوماً: اخبرني عن عنبسة، قال: " يلحن كثيراً، قال:

[1] البيان والتبين: أبو عثمان الجاحط، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة (ط7)، 418 هـ، 1998 م: 219/2.

[2] معجم الأدباء: ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي (ط1) 1993 م: 1/ 16، 17

[3] المزهر في علوم اللغة: المرجع السابق: 397/2.

[4] أنباه الرواة على أنباه النحاة: ابن الوزير القفطي، تح: أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت (ط1)، 1406 هـ 1986 م: 39/1.

[5] تاريخ مدينة دمشق: أبن عساكر، تح: محي الدين بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت لبنان، 1416 هـ6 1996م: 138/367.

أفأنا ألحن؟ قال لحنا خفيفاً. قال: كيف ذلك؟ قال: "تجعل إنّ أنّ، وأنّ إنّ" ونحو ذلك: قال له: لا تساكني ببلد، أُخْرُجْ"[1].

و من الذين شهد لهم الأصمعي حيث قال " أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل: **الشعبي عبد الملك بن مروان، الحجاج بن يوسف، وابن القرية، والحجاج أفصحهم**"[2]. وروي محمد بن الحارث المخزومي قال: "دخل على عبد العزيز بن مروان رجل، يشكو صهرا له فقال له: إن ختني فعل بي كذا وكذا، فقال له عبد العزيز: من ختنك؟، فقال: ختني الختّان الذي يختن النّاس، فقال عبد العزيز لكتابه ويحك بما أجابني؟ فقال له: يا أيها الأمير، إنّك لحنت وهو لا يعرف اللّحن... فأقام في البيت جمعة لا يظهر، ومعه من يعلمه العربية، قال فصلّى بالنّاس الجمعة وهو من أفصح النّاس"[3].

و بالرغم من انتشار اللّحن في هذا العصر، إلّا أنه يوجد تربة خصبة ينبت فيها في هذه الفترة من الزمان، لأن العربية لا تزال تحتل في نفوس القوم، منزلة كبيرة وفي سبيل سلامة اللغة كان الولاة والقضاة لا يسمعون إلا لمن فصح لسانه، وكمل بيانه، قال عمر بن عبد العزيز: " إنّ الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها، فيلحن، فأردّه عنها وكأنّي أقضم حبّ الرمان الحامض، لبعض استماع اللّحن، ويكلمني آخر في الحاجة، لا يستوجبها فيعرب فأجيبه إليها تلذّذا لما أسمع من كلامه"[4].

اللّحن في العصر العباسي:

في عهد العباسيين، استفحل اللّحن وأصبح قضية تشغل بال الغيورين على العربية الفصحى، ويمكن الوقوف عند هذه المعضلة في هذا العصر من خلال عهدين اثنين:

---

[1] مختصر تاريخ دمشق: لإبن عساكر، ابن منظور، تح محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق (ط1)، 1404 هـ - 1984 م: 212/6.

[2] القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة علي جراح الصباح (ط2)، 1978 م: 58.

[3] أخبار النحويين، أبو طاهر عبد الواحد البزّار، تح: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا (ط1)، 1410 هـ - 1989 م: 45-46.

[4] نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، المرجع السابق : 244-245.

أولا: عهد هارون الرشيد (143 هـ–170 هـ): في عهده حظي العلماء والأدباء بمكانة متميزة عن باقي الرعية، لذلك عرفت هذه المرحلة نهضة فكرية وأدبية قل نظيرها، كما اقترنت بأسماء كبار علماء الأمة كالأصمعي والفراء والكسائي وأبي عبيدة وفي هذا العهد، كانت لغة الدواوين مثالا يحتذى، ومن ذلك أنّ هارون الرشيد قال يوماً لبنيه: "ما ضرَّ أحدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه، ايسرّ أحدكم أن يكون كلامه أو لسانه كلسان عبده أو أمته"[1]

و حكي أنّ الفراء مع جلالة قدره وعلوّه رتبته في النّحو، دخل يوماً على الرشيد فتكلّم بكلام لحن فيه، فقال جعفر بن يحي: يا أمير المؤمنين إنّه قد لحن، فقال الرشيد للفراء: أتلحن يا يحي؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن طباع أهل البدو الإعراب، هو طباع أهل الحضر اللّحن، فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن وإذا رجعت إلى الطبع لحنت فاستحسن الرشيد كلامه"[2] وينقل الرواة " الكوفيون أن الذي حمل الكسائي أيضا على تعلم النحو هو تعبيره باللّحن، إذ قال: (قد عييت) يعني تعبت، فقالوا له تجالسنا، وأنت تلحن، فقال كيف لحنت؟ فقالوا له: إن كنت أردت من التعب فقل: " أعييت" إن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل: "عييت" مخفّفة[3].

و في هذا العهد تأثرت اللغة بحضارة المدن، وقد بدأ ذلك جليًا في اختلاف اللغة الأدبية في أوائل العصر العباسي كما يظهر ذلك في شعر بشار بن برد وأبي العتاهية وابن الأحنف: إذ نجد اختلافاً كبيراً من حيث صوغ القوالب وتركيب الجمل والمادة اللغوية وطرق التعبير، عن لغة شعر البادية، ولكن رغم ذلك فإن عربية الدولة قد احتفظت بالتصرف الإعرابي وبقواعد بالتصرف الإعرابي وبقواعد النحو والصرف احتفاظاً تاما من حيث بنائها الحقيقي. وفي مقابل ذلك كانت اللغة الدارجة (العامية) المتداولة بين الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن، منذ نشوئها في عصر الفتوحات

[1] صح الأعشى: القلقشتدي، في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1330 هـ -1922 م: 168/1.
[2] المرجع نفسه: 173/1.
[3] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، المرجع السابق:59.

الإسلامية الأولى، تعتبر عربية مولدة في نظر التاريخ اللغوي[1]. وقد أحدثت هذه العربية المولدة كثيرا من التغيرات الصوتية، مثل تغيير الصاد بالسين (الصراط، السراط)[2]. وبالإضافة إلى أنّ اختلاط العرب بغيرهم كان السبب الأول والرئيسي في حدوث اللّحن، فإن هنالك أسبابا أخرى قد زادت من تأجج فتيل هذه المعضلة، ومن ذلك إقدام كثير من الرواة على وضع الشعر واختلافه، مثلما حدث مع بشار بن بُرد حيث أنشد شعراً للأعشى، قوله: " وأنكرتني ومَاكَانَ الذي نَكِرت من الحوادث إلا الشيب والصلعَا، فأنكره بشار، وقال: هذا بيت مصنوع، مايشبه شعر الأعشى، ثم ظهر صدق حدسه بعد عشر سنين، حيث قال يونس: حدّثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت، وأدخله في شعر الأعشى[3].

و من ذلك أيضا أن أبا العباس المبرّد قد أقدم على وع بعض الأشعار في وقف خاص، اضطر فيه إلى ذلك: فقد حكى البغدادي أنه ورد الدّينوريُّ رائر عيسى بن ماهان، وعندما عُقد مجلس العلم، وسئل المبرد عن معنى الشاة " المجثّمة" لم يكن عنده علم به، فاضطر- دفعاً للحرج- إلى أن يجيب بأنما " الشاة القليلة اللبن" ثم أيد كلامه برجز وضعه لساعته، وهو قوله:

لَمْ يَبْقَ مِن آلِ الحَصيد ثَمَّهْ *** إلا عُنَيزٌ لَجَبَةٌ مُجَثَّمَهْ

و عندما دخل أبو حنيفة الدّينوري المجلس، وكشف زيد هذا الرجز أقر المبرد بوضعه، واعتذر لعيسى بقوله: " أنفتُ أن أرِدَ إليك من العراق، وذكري ما قد شاعَ، فأول ما تسألني عنه لا أعرفه"[4].

ثانيا: عهد المأمون (198هـ- 230 هـ) في عهده، ازدهرت علوم العربية أيما ازدهار، فلقِب هذا العصر بالعصر الذهبي للأدب العربي[5]. أي نهضت الحياة الثقافية في مختلف نواحيها تجلّى ذلك

[1] المثل السائر: ضياء الدين بن الأثير، (ط1) ،مصر: مكتبة نهضة، 1960 : 1 /107.

[2] المظاهر الطارئة على الفصحى: محمد عيد: السابق عالم الكتب، دار الثقافة العربية 1980 م: 1 :27.

[3] موسوعة اللحن في اللغة: عبد الفتاح سليم السابق مكتبة الآداب 2006، (ط2): 18.

[4] المرجع نفسه : 18 -19 .

[5] دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ...: السابق (ترجمة، رمضان عبد التواب)مصر 1980م :11 .

في الشعر وعلوم اللغة والدين والكلام. وفي المقابل، تفاقم خطر اللّحن في هذا العهد، وتحديداً مع بداية النصف الثاني من القرن الثاني الهجري: حيث غدت الأخطاء اللغوية أمرا عاديا مألوفا، ومما ساعد على ذلك وقوعها من ذوي الشأن كالخلفاء والوزراء والأدباء والعلماء، وقد كان اللّحن من هذه الطبقة متعارفا مشهوراً وتجاوز أمر التخاطب اليومي إلى إنشاء الأشعار بل إلى قراءة القرآن. ومن ذلك أن أمير البصرة محمدا بن سليمان غلط يوماً فقرأ على المنبر: (إن الله وملائكته يصلون على النبي) سورة الأحزاب الآية 56، يرفع الملائكة فاستحى أن يرجع، فأرسل إلى النحويين فقال: احتالوا لي، فقالوا: "عطفت (وملائكته على موضع (الله)، وموضعه رفع، فأجازهم، ولم تزل قراءته حتى مات، وكره أن يرجع عنها، فيقال: (إن الأمير لحن)[1].

ومن الولاة الذين اشتهر عنهم اللّحن خالد بن عبد الله القسري، كان يقول: " أن كنتم رَجبيّون فإنّا رَمَضانيُون"، وقد هجاه بذلك يحي بن نوفل والحجاج بن يوسف الثقفي، وكان يقرأ (إنّا من المجرمين منتقمون) يرفع المجرمين، وكان مع لحنه معدودا من الفصحاء[2].

أمام هذا المشهد المحزن أحال اللغة العربية، لم يجد بعض الغيورين على هذه اللغة بدّا من الإرتحال إلى البادية مكان الصفاء اللغوي، كما لم يجد بعضهم الآخر مفراً من التشمير عن سواعدهم لتنقية هذه اللغة، فظهر كتاب الكسائي [3]، ما تلحن فيه العامة "نهاية القرن الثاني الهجري".

اللّحن في القرنين الثالث والرابع الهجريين:

أ- **القرن الثالث الهجري**: في هذا القرن اشتدت وطأة اللّحن على اللسان العربي، وكان أثره أمرّ وأفظع من ذي قبل: فالعلماء أنفسهم لم يسلموا من اللّحن: فها هو يوسف بن خالد التيمي[4]

[1] موسوعة في اللحن، المرجع السابق:24.

[2] المرجع نفسه:25

[3] المظاهر الطارئة على الفصحى، محمد عيد مرجع سابق علم الكتب، دار الثقافة العربية 1980م : 26-27.

[4] كتاب في الشروط: أبو خالد يوسف التيمي: فقيه ويرمي بالزندقة، انظر: الزركلي الأعلام: 228/2.

يقول لإبن عثمان عمر بن عبيد[1]: " ما تقول في دجاجة ذبحت من قفائها؟ فقال عمر: "حَسّن من كلامك" قال: "من قفاها"، فقال عمر: " مَا عناك بهذا؟ قل: من قفاها واسترح"[2]. وقدّم رجل من النحويين رجلاً إلى السلطان في دين له عليه فقال: "أصلح الله الأمير، لي عليه درهمان، فقال خصمه، لا والله أيها الأمير إن هي ثلاثة دراهم، ولكن لظهور الإعراب ترك من حقه درهما"[3].

و بهذا الصدد أشار الجاحظ إلى ملامح التعبير اللغوي في أواخر القرن الثاني الهجري إلى النصف الأول من القرن الثالث. ولقد ظهرت هذه الملامح في لغتي العامة والخاصة؛ فأمّا الأولى فلقد كانت تربة خصبة للحن، وكانت تنتشر بصفة أكبر في أوساط العبيد والخدم، وهنا يحكي لنا الجاحظ عن غلام له أخطأ في تركيب بعض الجمل حينها قال لآخر: (ويلك إن حياء كلهم أقل)، وكان يريد أن يقول: (أنت أقل الناس كلهم حياءً ويلك)[4].

و أما الثانية: أي لغة خاصة فلقد طالها اللّحن بفريقها الإثنين: فريق كان يدخل الكلمات والجمل الفارسية في شعره وفريق سمّوا بأصحاب التقعير والتعقيب والتشديد، والتمطيط، والجوهرة، والتفخيم، وهؤلاء لحنهم أشد مرارة، وأولهم عيسى بن عمار بن هبيرة [5]، في وديعة فقدت بعد أن أودعها، فقال " إن كَانَتْ إلاّ أثيابَا في أسِيفاطِ قَبْضها عَشارُوكَ"[6].

و قد ذكر ابن الجوزي كثيراً من الأخطاء اللغوية التي كانت سائدة في عربية بغداد في القرن- الثالث هجري، لذا يعدّ كثير من هذه الظواهر مشتركا بين عربية بغداد في القرن الخامس والقرنين

[1] من شيوخ المعتزلة: أبو عثمان عمر بن عبيد، ينظر: الزركلي: الأعلام، 289/2.

[2] البيان والتبيين، الجاحظ السابق تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي: الرياض: دار الرفاعي، 1982، (ط2): 167.

[3] المرجع نفسه: 218/2.

[4] المرجع نفسه: 2/ 93.

[5] طبقات القراءة أبو عمرة هبيرة بن محمد البغدادي الأبرسي/ ينظر: الذهبي (تحقيق أحمد خان)، (ط1): 240/1.

[6] عيون الأخبار، المرجع السابق: 11/5.

السابقين، ومن أمثلة على ذلك: " تقول لما يزرع ويؤكل (بذر، بذور) والعَامة تقول: (بزرَ، بزور) وهو خطأ، وتقول: "هذا بطّيخ بكسر الباء، والعَامة تفتحها[1].

و تقول في اللون الخالص الذي لا يخالطه لون آخر: "بهيم" فتقول: أسود بهيم وأبيض بَهيم" والعَامة تخص الأسود بالبهيم[2].

و العَامة تحمل التواتر في معنى الاتصال الذي ليس فيه انقطاع وهذا غلط منهم[3].

و تقول ما هذا التباطؤ؟ والعَامة تقول " ما هذا التباطي؟، وكذلك: التوضّوء والتوكّوء" والعَامة تقولها بالياء.

و تقول، "تثاءبت (و) هي الثؤباء ممدودة، والعَامة تقول تثاوبت[4].

و لقد تصدى لهذه الظاهرة في هذا العهد كتاب ابن قتيبة (ت 276 هـ) الذي ألف كتاب سماه (عيون الأخبار) وخصص فيه بابًا عاملا يوضح فيه الصواب من اللّحن، سماء " باب للإعراب واللّحن" [5].

و إلى جانب ابن قتيبة، يعتذر ابن الرومي (ت 283 هـ) في قصيدة له عن أخطاء لغوية صدرت منه في رسالة كتبها إلى صديق له. أما العامية (الدارجة) في هذا العهْد، فقد كان وضعها أكثر تأزماً: حيث كان الأتراك أصحاب الكلمة في الخلافة آنذاك[6].

[1] تقويم اللسان: ابن جوزي، تح: عبد العزيز مطر، دار المعارف، ط1، 1966: 98.
[2] المصدر نفسه: 103.
[3] المصدر نفسه: 106.
[4] المصدر نفسه: 106.
[5] عيون الأخبار ، مرجع سابق: 11/5.
[6] دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، مرجع سابق : 136 .

ومن الدلائل على ذلك أن علماء اللغة أنفسهم في نهاية القرن الثالث الهجري لم يكونوا يستعملون اللغة الفصحى في مساراتهم ومحاوراتهم[1]. فها هو ثعلب[2] (ت 291هـ) لم يجد في دروسه على قواعد الإعراب: حيث كان يدخل المجلس فيقوم له تلاميذه، فيقول لهم: " أقعدوا بفتح الهمزة"، كما في اللهجة الدارجة آنذاك[3].

وفي المقابل هذا المشهد المتأزم، شهد القرن الثالث الهجري نهضة لغوية تمثلت في التنافس بين علماء المدرستين البحرية والكوفية في قضايا لغوية خدمت النحو العربي بوجه خاص، واللغة العربية بوجه عام.

اللّحن في القرن الرابع الهجري:

أصبح اللّحن في هذا القرن مألوفا على ألسنة اللغويين والمتعلمين؛ فها هو أحمد بن فارس الكوفي [4] يسجل قائلا: " وقد كان الناس قديماً يجتنبون اللّحن فيما يكتسبونه أو يقرؤونه اجتنابهم بعض الذنوب والمحارم، أما الآن فقد تجوز، حتى إن المتحدث يتحدث فيلحن، والفقيه يؤلف فيلحن، فإذا تُبعا قالا: ما ندري الإعراب وإنما نحن محدّثون وفقهاء."

و معنى ذلك أن اللّحن استفحل حتى على لسان كُتاب الدواوين. ومن الأخبار ما يؤكد أيضا أن أكثر قضاء مصرفي هذا العصر كانوا ينطقون أيضا لفظ (مائة) بفتح الميم ومن الألف، وذلك لحن فظيع. كما أن العَامة في الأندلس أبدلوا بعض الأصوات اللينة بأصوات أخرى أو أصوات ساكنة؛ فقد كانوا يقولون للموضع الذي ترسو فيه السفينة (مينة)، قال الزبيدي: الصواب "مينا" وهو : بالقصر وميناء بالمد والقصر فيه أكثر وهو مشتق من الونَا وهو الفتور والسكون، كأن السفن جرت

[1] إرشاد الأديب: المرجع السابق: 39/2.

[2] ينظر، المرجع نفسه : 142 .

[3] ينظر، المرجع نفسه : 316.

[4] مقاييس اللغة، ابن فارس، "مادة (ل ح ن) السابق.

وسكنت هناك؛ فسمي مكان سكونها مينا، والعرب تبني (مفعلة مفعالاً) من الونا، وهو الفتور والسكون فيقصر ويمد[1].

و يقولون لما طحن من البرّ وغيره غليظا: "شيش" قال محمد: والصواب "جشيش" وطحن عالهرس والمجش: رحَا يجش بها البرّ وغيره[2].

و يقولون للجلد الذي يبسط للطعام وغيره: "نطا"، ويجمعونه على: أنطِاء. قال محمد: والصواب: "نطع" للجمع، ونطوع[3]

و يقولون: "قلسوة" قال محمد: والصواب قلنسوة وفيها لغات، يقال قلنسوة وقلنسة، وقلنساة، وقلساة[4].

و صفوة القول إن القرن الرابع الهجري الذي عُرف نهاية عصور الاحتجاج قد وصل فيه اللّحن هداه؛ إذا غذا مألوفا على ألسنة العامة والخاصة.

أسباب ظهور اللّحن:

اللّحن ظاهرة اجتماعية لغوية تتداخل في صنعها عوامل عديدة، يمكن أن نبرز أهمها فيما يلي:

1- اختلاط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب الأعجمية:

فالإنسان إلفّ مألوف بطبعه يؤثر ويتأثر مهما احترزَ وتحفظ، وهذا ما حدث يوماً للفراء (ت 207 هـ) الذي لحنَ بين يدي هارون الرشيد فردَّ عليه هارون فقال: " يا أمير المؤمنين إنّ طباع الحضر اللّحن، فإذا تحفظت لم ألحن وإذا رجعت إلى الطبع لحنتُ[5] وكَانَ في حق الفراء الذي قيل

[1] لحن العامة، المرجع السابق : 50.
[2] المرجع نفسه: 77.
[3] المرجع نفسه : 80.
[4] المرجع نفسه : 81.
[5] شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، دار الفكر بيروت (ط1)، سنة 1979، 19/2.

عنه: "لولا الفراء لما كانت عربية"، وكان في النحو نسيج وحده وفي اللغة بحراً"[1]، فكيف يغيره من العوام وغير المنشغلين بحفظ اللسان؟ والناس أسرى ما ألفوا كما يقال.

و يقول ابن خلدون: " وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقي إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين من العجم والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقي إليها مِما يغايرها، لجنوحها إليه باعتياد السَّمع[2].

قال ابن الجوزي رحمه الله: فإن رسول الله كان عربيا وكذلك جمهور أصحابه وتابعيهم فوقع في كلامهم من اللغة ما كان مشهورا بينهم، ثم وقعت مخالطة الأعاجم ففشى اللّحن[3].

و منها كذلك اشتعال غير العرب من العجم والموالي بالعلم يقول ابن خلدون: "من الغريب الواقع أنَّ حملة العلم في الملّة الإسلامية أكثرهم العجم إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيخته، مع أن الملّة عَربية وصاحب شريعتها عربي، والسبب في ذلك أن الملّة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة بمقتضَى أحوال السذاجة والبداوة، وإنَّما أحكام الشريعة في أوامر اللّه ونواهيه.

ثم يقول رحمه الله: " وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحاضرة وأحوالها من الصنائع والحرف لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس[4].

[1] شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المرجع السابق: 19.

[2] المقدمة: ابن خلدون، تح:عبد الله محمد درويش، مكتبة الهداية، دمشق، (ط 1)، 1425هـ- 2004 م: 368/2.

[3] غريب الحديث: ابن الجوزي السابق تح: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت (ط1) 1985 م: 01/1.

[4] المقدمة: ابن خلدون السابق، تح: عبد الله محمد درويش، مكتبة الهداية، دمشق (ط1)، 1425 هـ -2004م: 362/2.

" فهؤلاء العجم مهما فقهوا في اللّسان، ورسخوا في العلم، لم تكن ألسنة بعضهم للتخلص من لغتها الأم، لأنّ الأعجمي المتعلّم للعلم في الملّة الإسلامية يأخذ العلم بغير لسانه الذي سبق إليه، ومن غير خطّة الذي يعرف ملكته"[1].

2- اتخاذ مربّيات من العجم:

كثرة الموالي والجواري وأمهات الأولاد في الأسر العربية والإسلامية عموما، وفي هذا السياق يقول الجاحظ (ت 255 هـ): "كانت في عبيد الله ابن زياد، لكنه لأنّه كان نشأ بالأساورة –عجم– مع أمه مَرجانة" [2]، وهي أم ولد لزياد، فبسبب هذه الجارية أصبح اللّحن في بيت زياد بن أبيه قائد من قادة المسلمين مشهور بالفصَاحة والبيان، وهو صاحب الخطبة البتراء، الذي يضرب به المثل في طلاقة اللسان، وهو لا يقل شأناَ عن الفرّاء في حفظ اللغة وصيانة الرأي العام، ومع ذلك دبَّ اللّحن إلى بيته عن طريق جاريته وأم ولده الأعجمية."

3- إهمال النقط والشكل في اللغة العربية:

لقد كانت سليقة العرب وسلامة لغتهم تستغنيان عن نقط الحروف وشكلها، فلم يعرفوا النقط ولا الشكل، وحين دخلت الأمم الجديدة وبدأ الفساد يعمّ في اللّغة، خافوا عليها من الإندثار فوضعوا النقط والتشكيل: يروي أنّ زياد بعث إلى أبي أسود الدؤلي رحمه الله (ت 269) فقال: "يا أبا الأسود إنّ هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت شيئًا يصلح به الناس كلامهم ويعربون كتاب الله، فأبى ذلك أبو الأسود، وكره إجابة زياد إلى ما سأل، فوجّه زياد رجلا فقال " اقعد في طريق أبي الأسود، فإذا مرّ بك، فقرأ شيئًا من القرآن، وتعمّد اللّحن فيه، ففعل ذلك، فلما مرّ به الأسود رفع الرجل صوته.

[1] المقدمة ، المصدر السابق: 366/2.

[2] البيان والتبيين، المرجع السابق: 93/2.

فقال: (أنّ الله بريءٌ منَ المشركينَ ورَسُولِهِ) سورة التوبة الآية 3، فاستعظم ذلك أبو أسود وقال: يا هذا قد أجبتك إلى مَا سألت ورأيت أن ابدأ بإعراب القرآن.

4- النفوذ التركي أثره في تدهور اللغة العربية:

راجع عبد الفتاح سليم، انحطاط اللغة العربية وكثرة اللّحن فيها لفظًا وتركيبًا إلى استيلاء العثمانيين على مصر وسائر البلدان العربية، وفي هذا الصدد يقول: " أمّا محاولة الأتراك بسط نفوذ لغتهم على العربية، فكان من نتائجه أن تأثرت العربية بخصائص التركية تأثرا عظيمًا في الألفاظ والتراكيب، فعرّب الكثير من الألفاظ الدخيلة التي جرت على ألسنة الحكام الأتراك، واستعيرت بعض قواعد اللغة التركية في تعريف الألفاظ العربية أحيانا كثيرة، كما طبع الأسلوب العربي بطابع الركاكة والعَامية، (باشا، أغا) برئيس المدينة، (الأغوات–البيرون) وهم الذين يعملون خارج القصور... إلى ذلك من الألفاظ التركية الأصل التي نقلت بحروفها إلى العربية[1].

و أدى كثرة استعمال التركية مع العربية إلى قياس هذه على تلك وإخضاعها لقواعدها فقد أضرت اللغة التركية بالعربية وزاحمتها، فكان من نتائج ذلك تأثر العربية بخصائص اللغة التركية تأثراً عظيماً في الألفاظ والتراكيب، فعرّب الكثير من الألفاظ الدخيلة التي جرت على ألسن الحكام والأتراك، واستعيرت بعض قواعد اللغة التركية في تعريف الألفاظ العربية، كما طبع الأسلوب العربي بطابع الركاكة والعامية[2]، وعليه انحطت العربية وتركت المجال لغيرها التركية.

5- الخلافات المعجمية أنجبت الأخطاء الشائعة:

يقول صاحب فصاح العامية: " أذكر أن الخلافات في اللغة أنجبت لنا ألفا وخمسمائة من المعاجم التراثية"، وأنَّ البحوث المستفيضة في الأخطاء الشائعة في نقدنا اللغوي المعاصر، قد تناقضت فيما بين آراء الباحثين فيها، لأنَّ إطلاعهم على هذه المعاجم والكتب والخلافات متفاوت، وفقدان

[1] اللحن في اللغة، مظاهره ومقاييسه، عبد الفتاح سليم السابق، دار المعارف (ط1) 1409 هـ -1989 م: 2/276-277.
[2] المرجع نفسه: 1/332

المعجم الكامل الجامع المانع الذي لم يوضع بعد، وإيجاز الحذف الذي ابتليت به كثير من معاجمنا لتصغير حجومها... كلّ ذلك وأسباب أخرى من اختلاف مقاييسهم النّحوية والصرفية، والبلاغية وغيرها... كانت من أسباب الخلافات التي شجرت بين النقاد في بحوث النقد اللغوي والأخطاء الشائعة"[1].

6- أثر وسائل الإعلام في شيوع الأخطاء:

و في هذا الاتجاه ذهب أحمد مختار عمر لما تكلم عن الدّافع الأساسي في نقده للكتاب والإذاعيين في كتابه " أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين" بقوله: "و إنّما دافعي الأساسي لهذا النقد هو الأخذ بيد من ينشد الكمال اللّغوي من أصحاب القلم واللسان، وبخاصة المذيعون، ومعدو البرامج الإخبارية ورجال الصحافة، لما أعرفه من أثر لغة الإعلام في الإرتقاء بلغة النّاس، أو الانحدار بها، وإذا كانت لغة المذيع الإنجليزي ما تزال تتخذ معيارا للصواب اللّغوي، فإنّنا نتطلع إلى اليوم الذي تصبح فيه لغة المذيع العربي معيارا للصواب اللّغوي هي الأخرى..."[2]

و قد أورد بعضهم أسباب أخرى لتدهور العربية في العصر الحديث ومن هؤلاء أسعد خليل داغر الذي أرجع كثرة الأخطاء إلى أسباب منها :[3]

أولا: اللغة العامية التي شاعت بين جميع الناطقين بالضاد.

ثانيا: كثرة السماعي في اللغة؛ ويكثر خاصة في باب أوزان المصدر وأوزان جمع التكسير وباب الإلحاق...

ثالثا: النقل: هو تقليد لأحدهم في استعماله اللّغوي.

[1] معجم فصاح العامية: هشام النحّاس، مكتبة لبنان، بيروت، (ط1) 1997 م:26.

[2] أخطاء اللغة العربية عند الكتاب والإذاعيين: أحمد مختار عمر، عالم الكتب (ط1) 1991، (ط2) 1993: 19.

[3] تذكرة الكاتب، أسعد خليل داغ، مصر، القاهرة (د، ط)، (د،ت) : 17-27.

رابعا: إهمال اللغة، وخاصة عند طلبة المدارس، لكونهم يقتصرون منها على ما يمكنهم من اجتياز الإمتحان فقط أو إحراز الشهادة.

7- التعصب العرقي والنزعة الشعوبية والصراعات الحربية:

مع توسع الرقعة الإسلامية وكثرة الأعاجم في المجتمع العربي بدأت تضمحل المكانة الرفيعة للعرب والعربية، بسبب الصراعات الحربية والمصالح الشخصية والنزعة الجهوية، فليس غريبا أن نجد أنا عبيدة معمر بن المثنى كان إذا أنشد بيتا لا يقيم وزنه، وإذا تحدث أو قرأ لحن إعتمادا منه لذلك ويقول: النحو محدود[1] لأننا نجد الذهبي (ت748 هـ) يترجم له بالقول: " المولى التيمي البصري"، كان يتضمّن العرب، وألف في مثالبها كتبا، وكان يرى الخوارج[2]، فلا غرابة أن يتعمد اللّحن لنزعته العرقية ووجهته الحربية التي يميل إليها، والمهم أن هذه العصبية هي إحدى أسباب شيوع اللّحن في الوسط العربي سواء كانت عفوية أو قصدية.

8- تساهل الأمراء والوجهاء في التحدث باللّحن :

التمس له وجهة صواب وبحث له عن تبرير فهو يصرُّ على لحنه ويأبى أن يعود إلى الصواب استحياء أو أنفة واستكبارا أن يقال: لحن، ويطلب من النحاة أن يلتمسوا للحنة وجها صحيحا.[3]

إحلال العامة محل الفصحى: تعد اللغة العامية من أبرز التحديات التي تواجه لغة الضاد في العصر الحديث، وتعرف العامية بأنها: اللغة يتخاطب بها الناس في كل ما لم يعرض لهم من شؤون حياتهم[4]. والدعوة إلى العامة ومحاولة إحلالها محل الفصحى هي أكبر محنة تعرضت لها اللغة الفصحى

[1] وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان: ابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، (ط1): سنة 1972: 238/5.

[2] العقد الثمين في تراجم النحويين: للذهب، تح: يحي مراد دار الحديث، القاهرة، (ط1)، 2004: 24-25، والمعارف لإبن قتيبة، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط6)، سنة 1992:543.

[3] موسوعة اللحن في اللغة، المرجع السابق:24.

[4] معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة (ط1)، 2002، 5/1.

في تاريخها، فقد تبناها بعض المستشرقين ومن تأثر بهم من العرب بحجة أنها لغة الشعب كله وتعبر عن مشاعرهم وأفكارهم، وكان من آثار إحلال العامة محل الفصحى:

– قطع أوجه الاتصال بين المسلمين، والسعي إلى عزل الدول العربية، وتدمير أهم مقومات وحدتها، فروج الغرب لهذه الدعوة لينعزل كل جزء في محيطهم بلغتهم العامية.

– صعوبة فهم التراث العربي والإسلامي فاللغة العربية الفصحى تجعلنا نفهم القرآن والسنة وكتب التراث العربي من شعر ونثر، أما العامية فلا تستطيع أن تحل مكان الفصحى بحال.

في الإزدواجية بين الفصحى والعامية عبئ مادي وزمني ونفسي: ذلك أننا نتفق في تعلم الفصحى وتعليمها مادة ووقتا أكثر من المطلوب، وتسبب أيضا في ازدراء الطالب للفصحى فما يبنيه مدرس اللغة العربية معرض للهدم بسبب استشراء العامية في مرافق الحياة العامة وتجعل بعض المتعلمين يتلمس الفصحى بصعوبة بالغة[1].

وبعض كتب اللّحن القديمة التي ذكرها الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه "لحن العامة والتطور اللغوي " [2]، نذكر منها:

ما تلحن فيه العامة للكسائي 189 هـ.

ما يلحن فيه العامة لأبي الهيذام، من علماء القرن الثالث الهجري.

– البهاء فيما تلحن فيه العامة للفراء 207 هـ.

ما تلحن فيه العامة، لأبي عبيدة 208 هـ.

– مايلحن فيه العامة، للأصمعي 216 هـ.

[1] التدريس باللغة العربية الفصيحة لجميع المواد في المدارس، سميع أبو مغلي، دار الفكر، عمان، (ط1)، 1997:44.

[2] لحن العامة والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب السابق، دار النشر مكتبة زهراء الشرف، القاهرة (ط2)، 2000 م: 106-108.

ما خالفت العامة فيه لغات العرب، لأبي عبيد 224 هـ.

- مايلحن فيه العامة، لأبي نصر الباهلي 231 هـ.

- إصلاح المنطق، لأبي السكيت 244 هـ.

- مايلحن فيه العامة، للمازني 249 هـ.

- ماتلحن فيه العامة، لأبي حاتم السجستاني 255هـ.

- النحو من كان يلحن من النحويين، لأبي شبه 262 هـ.

- أدب الكاتب، لإبن قتيبة الدينوري 276 هـ.

آثار اللّحن وطرق العلاج:

كان لظهور اللّحن في الوسط العربي آثار سلبية على لغة الضاد، شوّهت السّليقة العربية والذّوق السّليم، فاستسيغ نطق مالا يتوافق مع سنن الكلام العربيّ وقواعد لغته، ممّا دفع العلماء إلى التّفكير في كيفية صون لغة القرآن من التّحريف والتّزييف، فانبعث جمع منهم إلى هذه المهمّة فأصبحت آثار إيجابية خدمت اللّغة العربية أيّما خدمة.

الآثار الإيجابية:

قام أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) بنقط المصحف الشريف "نَقط إعراب"، بمداد يخالف مَداد الكتابة في مواضع من الحرف الأخير في كل كلمة تختلف باختلاف الفتحة والكسرة والضمة[1]. ليحفظ للغة القرآن إعرابها، ويصرف جمالها من ظاهرة اللّحن التي صارت تنتشر، وتُسمع في كتاب الله وعلى ألسنة النّاس.

ثم أتمّ عمل أبي الأسود الدؤلي فيما بعد تلميذه نصر بن عاصم الليثي (ت 89 هـ) بنقط المصحف الشريف: نقط المعجم لما احتاج الأعجمي إلى علامة يفرق بها بين الصوت والصوت الآخر المشابه له خطًا والمخالف له نطقا مثل: ج، حَ، خَ، ونحو ذلك [2]، ولكنّها ربما التبست نقطة المعجم بنقطة بنقطة الإعراب، مما جعل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) يغير نقطة الإعراب بشكل مأخوذ من الحروف " فالفتح شكله مستطيلة فوق الحرف، والكسرة كذلك تحته، والضمُ واو صغرى فوقه، والتنوين زيادة مثلها"[3]، وبه ضبط النطق السليم والقراءة الصحيحة لألفاظ العربية، وتلاوة المصحف الشريف، واكتملت الصورة اللفظية بنقطها المعجمي في مفرداتها، وشكلها الإعرابي في بنائها وتركيبها النحوي على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (175 هـ)، ثم جاء دور تلميذه سيبويه (ت

[1] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي السابق، 218/2: وكذا المدارس النحوية، التواتي بن التواتي، دار الوعي الجزائر (ط2) سنة 2008م:07.

[2] المرجع نفسه : 218/2.

[3] المرجع نفسه : 219/2.

180هـ) في موسوعته النحوية "الكِتاب" والذي استطاع أن يجمع فيه القواعد ويرتبها، ويعقد أبوابا يجمع فيها أشقائها من المسائل النحوية، فاعتبر بذلك الكتاب أوّل كتاب لتدوين النحو العربي وصل إلينا بهذه الصورة الكاملة، [1] والتي ضبطها باستقراء كلام العرب واستخراج المنوال الذي يبنون عليه كلامهم ويزنون به لغتهم، ومن شاء أن نبني بعدهم على منوالهم فليفعل، " وماقيس على كلام العرب هو من كلام العرب"[2].

و نستنتج أنها كانت جهود جبارة آثار إيجابية كانت الإنطلاقة فيها بسبب ظاهرة اللّحن، حتى قيل عن إمام النحاة سيبويه (ت 180 هـ) أنّه طلب النحو بسبب قصة لَحْن[3]، حتى كان من شأنه ما كان ووضع للنحو ديوانا، وهي الأرضية التي بنيت عليها الحركة الفكرية وأنشئت المدارس النحوية في البصرة والكوفة غيرهما.

أضاف لهذا وجود أثر نفعي هو حركة جمع اللغة وتدوينها في معاجم تحصي هذا الرصيد اللغوي المكنون في اللّسان العربي بجميع أطيافه وقبائله، فقام بذلك جمع من العلماء، على رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي (تـ 175 هـ)، هذا العبقري الفذ الذي درس اللغة على مستوى الصوت، الحرف والمقطع، العروض، والكلمة، المعجم، والتركيب، النحو، فاخترع للغة معجما شاملا سماه "العين" ووضع للنحو قواعد جعلت منه علمًا قائمًا [4]، نشره تلامذته من بعده فصار عمله مصدرًا للمعاجم اللغوية والمدارس النحوية من بعده، وأصبح في وسطهم أن يحفظوا كيفية اللغة من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا[5].

[1] المدارس النحوية، المرجع السابق:63.

[2] الإقتراح، جلال الدين السيوطي السابق إشراف: توفيق شعلان، المكتبة التوفيقية القاهرة (د–ط) سنة 2003 : 93.

[3] نظرية اللغة العربية، عبد المالك مرتاض، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، (د،ط)، 2012م: 502.

[4] تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، محمد المختار، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بيروت (ط 1)، 2001 م: 87.

[5] ينظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، المرجع السابق:82 .

فاقتدى به من بعده وجمعوا معاجم للغة ابن دريد (ت321هـ) كتابه "الجمهرة قصيدته "المقصورة" أحصى كما هائلا من المادة اللغوية والمفردات المعجمية، وهو لا يقل شأنا عن الخليل كما يقول المسعودي: "انتهى في اللغة، وقام مقام الخليل فيها، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين، وكان يذهب في الشعر كل مذهب."[1] واشتملت مقصورته على كثير من الحكم والأمثال والمعلومات التاريخية والمفردات اللغوية في باب المقصور، قال ابن هشام اللخمي: "و قد حفلت مقصورة ابن دريد بثلث المقصور في اللغة."[2] والعمل نفسه قام به أحمد ابن فارس (ت395هـ) بكتبه: مقاييس اللغة، والصاحبي في فقه اللغة، ومجمل اللغة، وهذا الأخير هو أول معجم رتبت مفرداته ترتيبا ألفا بائيا فوضع اللبنة الأولى في صرح عمل المعجمات بهذا الترتيب،[3] الذي يضبط المفردات اللغوية بدقة، ويسهل الطريق على الباحث في المعجم، وهي الطريقة التي اعتمدت واتبعت في وضع المعاجم إلى اليوم، وأخذا بالأحوط، قصروا بناء القاعدة القياسية على لسان قبائل معنية حضرها السيوطي في قبيلته "قيس" و"تميم" و"أسد" و"هذيل" وبعض كنانة، وبعض طيّء.[4] وذلك لبعد هذه القبائل عن الاحتكاك بالعجم، والاختلاط باللسان الأجنبي الدخيل الذي ورّث اللّحن. وفي هذا الأخير نستنتج أن قد كان للحن آثار سلبية على لغة الضاد، وإلى جانب ذلك كانت هناك آثارا إيجابية أيقظت الهمم وحركة العزائم ودفعت العلماء إلى خدمة اللغة العربية خدمة جليلة.

معالجة اللّحن:

أ. **جهود العلماء وتأليفهم في اللّحن:** لم يجد علماء العربية بدّا من التصدي للحن ومقاومته وحفظ هذه اللغة الكريمة منه، ولقد جاءت جهودهم موزعة على الشكل التالي:

[1] مروج الذهب ومعادن الجوهرة: علي بن الحسين المسعودي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (د.ط)، سنة 1990: 391/4.

[2] الفوائد المحصورة في شرح المقصورة، محمد بن أحمد بن هشام اللخمي، تح: محمد حامد الحاج خلف، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط1، سنة 2007: 34/1.

[3] مجمل اللغة المرجع السابق:07/1.

[4] الاقتراح، المرجع السابق: 58.

أولا: نقط القرآن الكريم وشكله: يروي أن أبا الأسود الدؤلي قد سمع رجلا قرأ قوله تعالى: (إنّ الله بريء من المشركين ورسوله) بكسر اللام في كلمة "رسوله"، فطلب كاتبا وأمره بنقط القرآن .[1]

عما أن نصر ابن عاصم (ت89هـ) قد زاد ما وصى به الأسود الدؤلي من نقط المصحف، وضع النقط على الحروف المتشابهة للتفريق فيما بينها.[2]

ثانيا: استنباط قواعد لحفظ اللسان وإعراب الكلام: بعد فشو اللّحن، خشي العلماء على اللغة العربية أن يلحق اللّحن بالقرآن والحديث، فيصعب حفظهما وفهمهما، لذلك استخرجوا من كلام العرب قواعد وكليات يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه منها بالأشباه، مثل أنّ الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعرابا، وتسمية الموجب لذلك التغيير كاملا.[3]

ثالثا: جمع مفردات اللغة وحصرها في دواوين: وعيا بخطورة اللّحن، فقد جرفت سيول من علماء اللغة مرتحلة إلى البوادي لجمع اللغة الفصيحة النقية من أفواه البدو، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي أوّل من ألف في ذلك، ثم تهافت العلماء من بعده على التأليف في هذا المجال.

رابعا: احتواء ظاهرة اللّحن بجمع ما وقع فيه من الكلمات والتراكيب في مؤلفات خاصة:

بعد أن استفعل اللّحن في المجتمع العربي، شمّر علماء اللغة عن سواعدهم فجمعوا ما وقع فيه اللّحن من العبارات والكلمات في الكتب، موضحين الخطأ من الصواب، ومن أهم تلك المؤلفات:[4]

- ما تلحن فيه العامة، لعلي بن حمزة الكسائي، 189هـ.
- ما تلحن فيه العامة، ليحي بن زياد الفراء، 207هـ.

[1] المزهر، المرجع السابق: 398/2.
[2] رسم المصحف، المرجع السابق: 233.
[3] المقدمة، مرجع سابق: 1266/3.
[4] لحن القامة والتطور اللغوي، مرجع سابق: 17.

- ما تلحن فيه العامة، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، 210هـ.
- لحن القامة، لسهل بن محمد السجستاني، 255هـ.
- إصلاح المنطق، لبن السكيت، 244هـ.
- أدب الكاتب، لبن قتيبة، 276هـ.
- التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن الحسن الأصفهاني، 360هـ.
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، وتصحيفات المحدثين، كتابان لأبي أحمد الحسين بن عبد الله العسكري، 382هـ.
- و قد تابع علماء العصر الحديث ما بذله شيوخنا القدامى من جهد في سبيل حماية اللغة العربية، فألقوا بدورهم مصنفات عدة تجرد الأخطاء اللغوية المتفشية على ألسنة العامة والخاصة، وتقدم طريقة تصوبها، بوضع الضوابط والقوانين القياسية التي على أساسها يكون الكلام صحيحا مستقيما والمعنى سالما مفهوما، فإن بعضهم الآخر من علماء المعاجم قام باستقراء وتتبع كلام العرب، وجمع مفرداته في معاجم محفوظة لتكون ذخيرة ورصيدا مصوبا، وكنزا مكنوزا.

الخاتمة

الخاتمة:

اللغة ظاهرة صوتية يعبّر بها كلّ قوم عن أعراضهم، وهي تكتسب بالتّلقين والمحاكاة من العصر الذي يعيش فيه الإنسان، حتّى تصبح ملكة راسخة لدى الشّخص يتواصل بها مع بني جنسه ومحيطه، وذلك شأن المجتمع العربي الذي عاش متواصلا بلسان عربي مبين، خالص من الشوائب اللّحنية واللّكنة الأعجمية، منزو على نفسه في بيئته الخاصة، حتى شرع الله الإسلام ودخل الناس في دين الله، واختلطت العربية بغيرها من اللغات الأعجمية، دبّ (انتشر) اللّحن إلى الوسط العربي وصار يفشو شيئا فشيئا إلى أن شاع وذاع ودخل بيوت العلماء والأمراء، وانتقل من عصر إلى عصر.

و بعد تتبع ظاهرة اللّحن في اللغة العربية توصلنا إلى النتائج التالية:

- اللّحن ظاهرة سيئة تفشت في البيئة العربية بشكل فردي، ثم شاعت وذاعت على نطاق واسع.
- يمد ظاهرة لسانية قبيحة تشوه المبنى وتفسد المعنى.
- لم يتوقف تأثيرها عند حدود التواصل اللغوي وحسب، بل امتد تأثيرها إلى القرآن الكريم.
- العلماء العرب لم يغفلوا عن اللّحن، فمنذ بداية ظهوره انطلقوا في التصحيح والتوضيح.
- اللّحن والخطأ والتصحيف والتحريف مفردات تتداخل فيما بينها، وتعني الميل عن الصواب.
- من أسباب ظهور اللّحن في الوسط العربي لاختلاطهم بالعجم وكثرة الموالي والتعصّب الشّعوبي وغيرها.
- من آثار ظهور اللّحن، انطلاق الحركة التصحيحية ووضع القواعد اللّغوية، صرف، ونحو وذلك حفاظا على استقامة اللسان العربي من كل تحريف وتشويه.
- تأليف المعجمات العربية.

- قيام بعض العلماء بتصنيف كتب في اللّحن تضبط الصّواب من الخطأ في التّداول الاستعمالي للغة العربية.

يسعى بحثنا هذا بالتّعريف بظاهرة اللّحن في اللّغة العربية، والتي تعد ظاهرة لسانية قبيحة تشوه المبنى وتفسد المعنى، والتي لم يتوقف تأثيرها عند حدود التواصل اللغوي فحسب، بل امتد تأثيرها إلى القرآن الكريم. ولا سيما بعد اختلاط العرب بالأعاجم، وهنا كانت الحاجة ماسة لوضع قواعد النحو والصرف، حفاظا على استقامة اللسان العربي من كل تحريف وتشويه، وفي هذا السياق يأتي هذا البحث ليعالج هذه الظاهرة اللغوية، من خلال تعريف اللّحن لغة واصطلاحا، مع بيان أسباب انتشاره في العربية، وتحديد ما نتج عنه من آثار لسانية سلبية، مع رصد أهم المصنفات التي وضعت من طرف اللّغويين العرب القدماء لمعالجة اللّحن نحو "ما تلحن فيه العامّة" للكسائي (ت 189هـ)، و"اصلاح المنطق" لابن السكيت (ت244هـ)، و"لحن العوام" للزبيدي (ت379هـ)، وغيرها كثيرة ممّا حفظ لنا قوانين اللّسان العربي كما نطقه العرب الأقحاح، وحافظ على لغة القرآن الكريم صافية نقية على مر الأزمنة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

الكتب:

1- أبو البقاء أيوب الكفوي: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري مؤسسة، ط1، (د.ت).

2- أبو بكر البيهقي: السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002م، 1424هـ، ج6.

3- أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة بيروت، لبنان، (د.ط)، 1989م.

4- أبو الحيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، ج8.

5- أبو ظاهر عبد الواحد البراز: أخبار النحويين، تح: مجدي فتحي السّيد، دار التّراث، ط1، 1410هـ- 1989م.

6- أبو عبد الله القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1427هـ- 2005م، ج17.

7- أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418هـ- 1998م، ج2.

8- أبو عثمان الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ط2، 1384هـ- 1965م، ج2.

9- أبو عمر هبيرة بن محمد البغدادي، طبقات القراء، تح: أحمد خان، ج1، ط1.

10- أبو القاسم جار الله الزمخشري، بأساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ-1998م، ج2.

11- أبو محمد أحمد ابن الأعثم ، مخطوط الفتوح، دار الندوة الجديدة، بيروت،ط1، (دت).

12- ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: محمود محمد الطناحي، الناشر المكتبة الإسلامية، (د.ت) و(د.ط)، ج4.

13- ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1405هـ- 1985م.

14- ابن الجوزي، تقويم اللسان، تح: عبد العزيز مطر، دار المعارف، ط1، 1996م.

15- ابن حجر العسقلاني: نزهة النظر، شرح نخبة الفكر، تح: عبد الله بن ضيف الرحيلي، ط1، 1422هـ، 2001م.

16- ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد درويش، مكتبة الهداية، دمشق، ط1، 1425هـ- 2004م، ج2.

17- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1972، ج5.

18- ابن دريد: كتاب الملاحن، تح: عبد الإله نبهان، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1992م.

19- ابن شاكر: تاريخ مدينة دمشق، تح: محي الدين بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1416هـ- 1996م، ج37.

20- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1979م، ج2.

21- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تج: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ر)، 1399هـ-1989م، ج5.

22- ابن المنظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، مج13.

23- ابن هاشم اللخمي: المدخل إلى تقويم اللّسان، تح: حاتم صالح الضامن، دار البتائر الإسلامية، بيروت، ط1، 2003.

24- أحمد بن علي الفيومي: المصباح المنير، تح: عبد العظيم الشناوي، ط2، دار المعارض، القاهرة، ج2.

25- أحمد بن محمد بن عبد ربّه: العقد الفريد، تح: محمد قميحة، دار الكتب العامية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ج2.

26- الأزدي: تاريخ الموصل .

27- الاقتراح: إشراف: توفيق شعلان، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ط)، 2003.

28- الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي: ديوان ذي رمة، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة "الإيمان"، جدّة، ط1، 1982-1402هـ.

29- الأنباري: كتاب الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيمي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1407هـ- 1987م.

30- الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد المنشاوي، دار الفضيلة، (د.ت).

31- جلال الدين السوطي: الاتفاق في علوم القرآن، تح: العلامة شعيب، مؤسسة الرسالة، ط1، 1429هـ- 2008م.

32- حسين نصار، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 2002، ج1.

33- حمزة بن حسن الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، تح: محمد أسعد طلس، دار صادر، بيروت، لبنان، دمشق، ط1، 1388هـ- 1968م.

34- الذبياني: تحقيق وشرح: حرم البستاني، ديوان النابغة، بيروت، دار الصادر، دون تاريخ.

35- رشيد العبيدي: عيوب اللّسان واللّهجات المذمومة، مجلة العلمي العراقي، ج3، 1406هـ- 1985م.

36- رمضان عبد التواب: لحن العامّة والتطور اللّغوي، دار المعارف، ط1، 1967م، ط3، 2000م، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

37- الزبيدي، لحن العامة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2.

38- الزمخشري: الكشاف، تح: الشيخ عادل محمد بن عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ- 1984م.

39- سميح أبو مغلي، التدريس بالغة العربية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2012م.

40- صحيح البخاري: دار طوق النجاة، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، 1311هـ، ج9.

41- صحيح مسلم: كتاب الجيل، تح: نظر بن محمد الفارابي، دار طيبة، 1427هـ-2006م.

42- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة، 1966.

43- عبد الصبور شاهين، التحديات التي تواجه اللغة العربية، منشورات منظمة الإيسيكو.

44- عبد العال سالم مكرم: القرآن الكريم وأثره في الدراسات اللغوية، مؤسسة علس جراح الصباح، ط2، 1978م.

45- عبد العال سالم مكرم: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، مؤسسة علي جراح الصباح، ط2، 1978.

46- عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، دار الطليعة، بيروت.

47- عبد العزيز مطر: لحن العامّة في ضوء الدّراسات اللّغوية الحديثة، دار المعارف القاهرة، ط2، 1981م.

48- عبد الفتاح سليم: موسوعة اللّحن في اللغة، مكتبة الآداب، 2006م، ط2.

49- عبد الملك بن أحمد: تاريخ مدينة دمشق، تح: عمر بن غرامة العموري، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1414هـ- 1996م.

50- عزيب الحديث، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م، ج1.

51- العسكري: تصحيفات المحدثين، تح: محمد أحمد ميرة، ط1، 1402هـ- 1982م، ج1.

52- علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (د.ط)، 1990، ج4.

53- عيون الأخبار، ابن قتيبة، ج5.

54- فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية (عصر القوة والازدهار)، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2003م.

55- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1330هـ- 1922م، ج1.

56- محمد التنوجي وراجي الأسمر: المعجم المفصل في علوم اللغة، ج1، ص171، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2001.

57- محمد بن أحمد بن هشام اللخمي: الفوائد المحصورة في شرح المقصورة، تح: محمد حامد الحاج خلف، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، ط1، 2007، ج1.

58- محمد جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1964م.

59- محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1400هـ- 1986م.

60- محمد عبيد: المظاهر الطارئة على الفصحى، عالم الكتب، القاهرة، (د.ط)، 1980م.

61- محمد مختار: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، بيروت، ط1، 2001.

62- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1406هـ- 1986م، ج2.

63- مصطفى السيوطي: تاريخ الأدب في العصر العباسي، دار الدولة للاستثمارات الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

64- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، 1997م، ج1.

65- مصطفى عبد القادر عطاء: رواه الحاكم في المستدرك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1422هـ- 2002م، ج1.

66- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تح: احسان عباس، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1993م، ج1، إرشاد الأديب، ج2.

67- يوهان فك: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تح: رمضان التواب، مكتبة الخانجي، مصر، (د.ط)، 1400هـ- 1980م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة.....أ

المدخل 01

الفصل الأول : العصر العباسي

1- نبذة عن الخلافة العباسية 07

2- امتزاج الثقافات والحضارات في العصر العباسي 21

3- تفشي اللحن في العصر العباسي 31

الفصل الثاني: تفشّي اللحن في العصر العباسي

1- تعريف اللّحن 38

2- بداية ظهوره (ذكر البيئات) بدوية أو حضارية وأسبابه..... 49

3- آثاره على لسان العرب وطرق معالجته..... 67

الخاتمة 73

قائمة المصادر والمراجع..... 76

ملخص:

يسعى بحثنا هذا للتّعريف بظاهرة اللّحن في اللّغة العربية خلال العصر العباسي، والتي تعد ظاهرة لسانية قبيحة تشوه المبنى وتفسد المعنى، والتي لم يتوقف تأثيرها عند حدود التواصل اللغوي فحسب، بل امتد تأثيرها إلى القرآن الكريم. ولا سيما بعد اختلاط العرب بالأعاجم، وهنا كانت الحاجة ماسة لوضع قواعد النحو والصرف، حفاظا على استقامة اللسان العربي من كل تحريف وتشويه، وفي هذا السياق يأتي هذا البحث ليعالج هذه الظاهرة اللغوية.

الكلمات المفتاحية: العصر العباسي، اللحن، اللسان العربي، قواعد النحو، الصرف، الظاهرة اللغوية.

Abstract :

Our research seeks to introduce the solecism phenomenon in the Arabic language during the Abbasid era. It is an ugly language phenomenon that distorts the terms and corrupts the meaning, the effect of which not only stops at the confines of linguistic communication, but also extends to the Holy Koran. Especially after the Arab mix-up, there was an urgent need to establish rules of language. In order to preserve the integrity of the Arabic language from any distortion.

Keywords: The Abbasid era, the solecism, the Arabic language, grammar, morphology, linguistic phenomena.

Résumé:

Nos recherches visent à introduire le phénomène de solecisme en langue arabe à l'époque abbasside. C'est un phénomène de langage laid qui déforme le terme et corrompt le sens, dont l'effet s'arrête non seulement aux confins de la communication linguistique, mais s'étend également au Saint-Coran. Surtout après le mélange arabe, il y avait un besoin urgent d'établir des règles de langue. Afin de préserver l'intégrité de la langue arabe de toute distorsion.

Mots-clés : L'ère abbasside, solecisme, la langue arabe, grammaire, morphologie, phénomènes linguistiques.